الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الادب العربي و الفنون

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الادب العربي

تخصص : أدب حديث ومعاصر

ذاكرة الألم وصوت الوعي

في رواية

«غرنوة: متاهة زقاق الظلمة» لعبد الله كروم

إعداد الطالب :مداني كريم

تحت اشراف : د. خضار سماحية

لجنة المناقشة :

الرتبة / الاسم و اللقب	اسم الجامعة	الصفة
أ.د/عبد الله بوقصة	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	رئيسا
د/ خضار سماحية	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مشرفا ومقررا
د/ محمد خطاب	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	عضوا

السنة الجامعية: 2026/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): ..... خضار سماحية .....

الرتبة العلمية: ..... أستاذ محاضر "أ" .....

بصفتي مشرفا(ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب(ة):

الاسم واللقب: ..... مدافع كريم .....

التخصص: ..... أدب حديث و معاصر .....

السنة الجامعية: ..... 2025/2026 .....

والموسومة: "..... ذاكرة الألم وصوت الوعي في رواية غزوة متاهة زقاق الطاحة لعبد الله كروم ....."

أشهد أن الطالب(ة) قد أتم(ت) إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: 28/10/2025

مصادقة رئيس القسم

أ.د غول شريفة
رئيس
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم
قسم الدراسات اللغوية والأدبية
كلية الأدب العربي والفنون

إمضاء الأستاذ المشرف

د: سماحية خضار
أستاذ محاضر أ
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات، وسددخطانا لإتمام هذا العملالمتواضع، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة الدكتورة المشرفة خضار سماحية، على ما قدمته لي من توجيهات علمية سديدة، وملاحظات قيمة، ومتابعة جادة كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذه المذكرة وإخراجها في صورتها الحالية.
كما أتوجه بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم اللغة العربية والأدب العربي بجامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم، على ما قدموه لنا من علم ومعرفة وتكوين أكاديمي طيلة السنتين الأخيرتين.

كمالا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، وساهم في دعمي مادياً أو معنوياً أو علمياً، وسهل لي سبيل إنجاز هذا العمل.كما أخص بالشكر أسرتي الكريمة، التي كانت سنداً لي بالدعاء والتشجيع والصبر، فكان لوقوفها إلى جانبي بالغ الأثر في مواصلة هذا العمل وإتمامهو أن يجعله ا خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً للعلم وطلابه وكل من ينتهل منه .

إهداء

إلى روح والدي طيب الله ثراه وأمي الكريمة، حفظها الله ورعاها، مصدر حبي ودعمي المتواصل، وإلى إخوتي وأخواتي الأعزاء، الذين كانت كلماتهم وتشجيعهم سنداً لي في حياتي، إلى أساتذتي الأفاضل الذين نوروا عقولنا بالعلم والمعرفة، وإلى كل من ساهم ولو بكلمة طيبة أو دعم معنوي في مسيرتي العلمية والمهنية، أهدي هذا العمل المتواضع، ثمرة جهد طويل، وعمل دؤوب، تعبيراً عن امتناني لكل من أسهم في رحلة البحث والتعلم، متمنياً أن يكون هذا البحث إضافة علمية قيمة وثابتة تعكس كل الدعم والإلهام الذي تلقيته طيلة هذه المسيرة الحافلة بالعلم والتعلم .

مقدمة

مقدمة

1. تمهيد حول الرواية الجزائرية وأدب الذاكرة:

ارتبطت الرواية الجزائرية الحديثة ارتباطًا وثيقًا بالتحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري، إذ لم تكن مجرد شكل فني قائم على التخييل، بل تحولت إلى وسيلة للتعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية، وإلى فضاء لاستعادة الذاكرة الجماعية ومواجهة محاولات النسيان. ولهذا برز ما يُعرف بأدب الذاكرة بوصفه اتجاهًا سرديًا يسعى إلى استحضار الماضي، والكشف عن الجراح التي خلفها الاستعمار، عبر إعادة بناء التجربة التاريخية داخل خطاب أدبي يجمع بين التوثيق والتخييل.

2. التعريف بالرواية وسياقها التاريخي:

في هذا السياق تندرج رواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة» للكاتب عبد الله كروم، التي تعود بالقارئ إلى واحدة من أكثر الصفحات إيلامًا في تاريخ الجزائر المعاصر، والمتمثلة في التجارب النووية الفرنسية بمنطقة رقان سنة 1960. فالرواية لا تقدم الحدث بوصفه مادة تاريخية جامدة، وإنما تستحضره من خلال تجربة إنسانية عميقة تكشف آثار العنف الاستعماري على الإنسان والمكان والذاكرة. وتكتسب الرواية خصوصيتها من طبيعتها التوثيقية، إذ جاءت ضمن سلسلة **«شاهد وقضية»**، حيث تُبنى الأحداث على شهادة البطل "الحساني ولد مولاي الشريف" التي ينقلها الصحفي "حنين حرمة"، وهو ما يمنح النص بعدًا يجمع بين السرد الروائي والشهادة التاريخية.

3. أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يحاول مقاربة الرواية من خلال مفهوم "ذاكرة الألم"، باعتبارها المحور الذي تنتظم حوله مختلف التجارب داخل النص. فالألم في الرواية لا يظهر باعتباره معاناة فردية عابرة، بل يتحول إلى ذاكرة جماعية تحفظ آثار الجريمة الاستعمارية، وتسهم في تشكيل وعي فردي وجماعي رافض للنسيان. كما تسعى الدراسة إلى إبراز الكيفية التي استطاع بها الكاتب تحويل المعاناة إلى خطاب مقاوم يعيد بناء العلاقة بين الإنسان وذاكرته وتاريخه.

4. أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى جملة من الدوافع الذاتية والموضوعية؛ فمن جهة، يندرج هذا البحث ضمن الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الأدب والتاريخ وبالقضايا المرتبطة بالذاكرة والهوية في الرواية الجزائرية. ومن جهة أخرى، تعود أهمية الموضوع إلى القيمة الفكرية والجمالية لرواية «غرنوة»، وإلى حداثة صدورها، فضلًا عن قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولتها بالتحليل، الأمر الذي يجعل هذه الدراسة محاولة للإسهام في الكشف عن أبعادها الفنية والادبيةوالفكرية.

5. الدراسات السابقة:

نظرًا لحداثة الرواية، فإن الدراسات التي تناولتها بصورة مباشرة ما تزال محدودة، لذلك اعتمد البحث على مجموعة من الدراسات المرتبطة بأدب الذاكرة، والرواية الجزائرية، والنقد ما بعد الكولونيالي، بوصفها أرضية نظرية تساعد على فهم طبيعة النص وتحليل أبعاده وكل مايتعلق به.

6. إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث في التساؤل الآتي: **كيف وظّف عبد الله كروم "ذاكرة الألم" في رواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة» لبناء وعي فردي وجماعي مقاوم للمحو الاستعماري؟** ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة، من أهمها:

- كيف تجلت "ذاكرة الألم" داخل الرواية؟
- ما طبيعة العلاقة بين الألم والوعي في النص؟
- كيف ساهم المكان في حفظ الذاكرة الجماعية؟
- ما الدور الذي أدته الرموز، وخاصة طائر "غرنوة"، في بناء الوعي ومحاكمة التاريخ؟

7. الفرضيات:

انطلق البحث من مجموعة من الفرضيات، أهمها أن "ذاكرة الألم" في الرواية لم تُقدَّم باعتبارها حالة سلبية، بل بوصفها قوة تسهم في بناء الوعي وتحويل الشخصية من موقع الضحية إلى موقع الشاهد المقاوم. كما يفترض البحث أن الكاتب وظف المكان والرمز لإبراز آثار العنف الاستعماري، ولإنتاج خطاب سردي مضاد يحفظ الذاكرة الجماعية من النسيان.

8. المناهج المعتمدة:

اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد مجموعة من المناهج والمقاربات النقدية المتكاملة، تمثلت في:

- **المنهج الموضوعاتي:** لتتبع تيمة الألم داخل الرواية.
- **المنهج السوسيو-تاريخي:** لربط النص بسياقه التاريخي.

- **المقاربة الوجودية:** لتحليل أبعاد القلق والاغتراب.
- **المقاربة السيميائية:** لفهم دلالات المكان والرمز.
- **النقد ما بعد الكولونيالي:** في دراسة البعد المقاوم للنص.

9. خطة البحث:

قسم وانتظم بحثنا هذاإلى ثلاثة فصول؛ خُصص **الفصل الأول** للإطار المفاهيمي والنظري لذاكرة الألم والوعي، بينما تناول **الفصل الثاني** تجليات ذاكرة الألم في الرواية، أما **الفصل الثالث** فقد عالج تشكل الوعي الفردي والجماعي ودور الرمز في بنائه. لتنتهي الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

الفصل الأول

الإطار النظري والمفاهيمي

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

المبحث الأول: مفهوم الألم وتحولاته في الخطاب الأدبي والفلسفي

يعتبر الألم أحد أكثر الظواهر الإنسانية تعقيداً وعصياناً على التنميط؛ فهو يتجاوز كونه مجرد رد فعل بيولوجي ناتج عن تلف عضوي، ليغدو "ظاهرة وجودية" شاملة تتقاطع فيها مستويات الإدراك الحسي بالحالات النفسية والذاكرة التاريخية. ولم يعد الألم في الدراسات الحديثة مجرد إحساس عابر، بل تحوّل إلى "مقولة إبستيمولوجية" (معرفية) يُستعان بها لفهم العلاقة الجدلية بين الإنسان وتاريخه المأزوم، وهو ما يتطلب في البدء فك شفراته لغوياً واصطلاحياً.

1- الألم لغةً واصطلاحًا

أ- الألم في اللغة :بالعودة إلى المعاجم اللغوية العربية، نجد أن "الألم" في أصله الاشتقاقي يحيل إلى الوجع والشدة والمكابدة. وقد ورد في "لسان العرب" لابن منظور أن الألم هو الوجع، وجمعه آلام، ويُقال "أَلِمَ الرجلُ" إذا توجع ووجد شدة الوجع[1]

غير أن التدقيق في المعنى اللغوي يظهر أن المفهوم يتجاوز حدود الضرر الجسدي المباشر ليشمل الحزن النفسي والغم؛ فالعرب استعملت "الألم" للتعبير عن كل ما يكدّر صفو الذات ويُخرجها عن توازنها الفطري. ومن هنا، تبرز النواة الأولى للربط بين الألم والحالة الشعورية، حيث لا ينفصل الحسّ عن المعنى، وهي العتبة التي مهدت لاحقاً للانتقال من الألم كإحساس فيزيقي إلى الألم كبنية نفسية وتاريخية.

[1] - ابن منظور، **لسان العرب**، ج 12، دار صادر، بيروت، 1993، ص 19

ب- الألم اصطلاحاً :تعددت المقاربات الاصطلاحية لمفهوم الألم بتعدد الحقول المعرفية التي اشتغلت عليه، ويمكن رصد أهم هذه التحولات في المستويات الآتية:

- **في المنظور السيكولوجي** :يُعرَّف الألم بأنه حالة وجدانية غير سارة، تنجم عن تنبيهات حسية أو نفسية حادة. وتؤكد الرؤى النفسية الحديثة على "ذاتية الألم"؛ إذ ليس الألم ما يقع على الجسد فحسب، بل هو "كيفية إدراك الذات" لذلك الوقوع. وبذلك، يرتبط الألم بمسارات الذاكرة؛ حيث يُخزن الألم النفسي (الناتج عن الصدمات أو الفقد) في الوعي، ويستمر تأثيره طويلاً بعد غياب المسبب المادي، وهو ما يُعرف بـ "الألم الانفعالي" المرتبط بالصدمة (Trauma) .[1]
- **في المنظور الفلسفي والوجودي** :ينزاح الألم عن كونه اضطراباً وظيفياً ليصبح "شرطاً وجودياً". فالألم هو الكاشف الأول لهشاشة الكائن وتناهيه؛ إنه اللحظة التي يدرك فيها الإنسان محدوديته في مواجهة الموت أو العدم. وفي هذا الإطار، لا يُنظر للألم كمرض يجب استئصاله، بل كـ "مشرط" يفتح مسالك الوعي بالذات وبالعالم؛ فالكائن الذي يتألم هو الكائن الذي يعي وجوده في الزمن.
- **في منظور "ذاكرة الألم** :(Memory of Pain) "هنا ننتقل إلى المستوى الأكثر تعقيداً، حيث يتجاوز الألم إطار الفرد ليصبح "ذاكرة جماعية". يشير "بول ريكور (Paul Ricoeur) "في طروحاته حول الذاكرة والتاريخ إلى أن الألم

[1]- يُنظر: عبد الرحمن عيسوي، **علم النفس المرضي**، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 211.

يتحول إلى "أثر (Trace) "باقٍ في وجدان الجماعة، خاصة حين يرتبط بمآسٍ تاريخية كبرى (مثل الجرائم الاستعمارية أو التفجيرات النووية).[1]

بناءً على ذلك، يصبح الألم اصطلاحاً في هذه الدراسة هو :تلك الحالة الشعورية والتاريخية المستمرة التي تحفظ في ثناياها آثار الانتهاك الكولونيالي، وتُستعاد عبر السرد الروائي لا بوصفها معاناة قديمة، بل كـ "ذاكرة حية" ترفض النسيان وتُحاكم الحاضر بروح الماضي المكلوم.

2- الألم في الفكر الفلسفي والوجودي

شكلت مقاربة الألم منعطفاً حاسماً في تاريخ الفلسفة، حيث غادر هذا المفهوم حيزه السريري والبيولوجي ليتموقع في قلب النقاش الأنطولوجي (الوجودي). لم تنظر الفلسفات المعاصرة، وتحديداً الوجودية منها، إلى الألم بوصفه شذوذاً أو عارضاً يجب نفيه، بل اعتبرته "شرطاً تكوينياً" للكينونة الإنسانية، وممراً إجبارياً لانعتاق الوعي ومساءلة الذات.

أ- القلق والانكشاف الأنطولوجي :يمثل "سورين كيركغارد (Søren Kierkegaard) " نقطة الانطلاق في هذا المسار، حيث ربط المعاناة بمفهومي "اليأس" و"القلق". يرى كيركغارد أن الألم الروحي، أو ما أسماه "المرض حتى الموت"، ليس نهاية المطاف أو دليلاً على العدمية، بل هو لحظة استيقاظ حادة تدفع الفرد للتمرد على سكونيته والبحث عن الخلاص والمعنى.[2]

وتتعمق هذه الرؤية الفينومينولوجية مع "مارتن هايدغر(Martin Heidegger) "، الذي اعتبر أن الإنسان المندمج في تفاصيل الحياة اليومية المبتذلة يعيش حالة من الغفلة

[1]- بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص 115-120.

[2]- سورين كيركغارد، **المرض حتى الموت**، ترجمة: فؤاد كامل، دار الكلمة، القاهرة، 1980، ص 45-48.

والنسيان (الضياع في عالم الـ "هم"). ولا ينتشله من حالة التخدير هذه سوى "القلق الوجودي(Angst) "؛ فهذا القلق المؤلم هو الأداة الكاشفة التي تمزق حجب الزيف، وتضع الموجود البشري أمام حقيقته العارية بوصفه "وجوداً نحو الموت"، محولةً الألم من مجرد معاناة باسيفية (سلبية) إلى طاقة بصرية تدرك تناهي العالم وهشاشته.[1]

ب- عبء الحرية والتمرد العبثي :في السياق الوجودي ذاته، يربط "جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) "الألم بعبء الحرية الملقى على عاتق الإنسان. فالكائن السارتري "محكوم عليه بالحرية"، وهذا الانفتاح المطلق على الاختيار يضعه أمام مسؤولية مرعبة تجاه نفسه وتجاه الإنسانية جمعاء. إن هذا الثقل يولد قلقاً ومكابدة لا فكاك منها، مما يجعل الألم النفسي والوجودي ضريبة حتمية لممارسة الوعي والحرية الفردية، ورفضاً للانقياد الأعمى للأنظمة الشمولية.[2]

من جهة أخرى، يطرح "فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) "مقاربة تقلب الموازين التقليدية؛ إذ يرفض النظرة الشفوقة للألم، معتبراً إياه البوتقة التي تُصهر فيها الإرادة وتُصقل عبرها القوة الداخلية. المعاناة في الفلسفة النيتشوية هي الشرط الضروري لتجاوز الذات، حيث لا بناء لوعي متفوق دون هدم وتألم ومكابدة.[3]

وتتقاطع هذه القوة النيتشوية مع فلسفة العبث عند "ألبير كامو(Albert Camus) "، الذي فكك التناقض الصارخ بين نداء الإنسان الحارق بحثاً عن العدالة، وبين صمت الكون ولامبالاته القاسية. هذا الصدام يولد ألماً عبثياً مريراً، غير أن كامو

---

[1]- مارتن هايدغر، **الكينونة والزمان**، ترجمة: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2012، ص 245-250.

[2]- جان بول سارتر، **الوجود والعدم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، 1966، ص 85-89.

[3]- فريدريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، ترجمة: فليكس فارس، دار التنوير، بيروت، ص 102.

لا يدعو للاستسلام أو الركون إلى العدمية، بل يؤسس لـ "التمرد"؛ فمن قلب المعاناة المرفوضة يولد الوعي الشجاع الذي يمنح الإنسان كرامته في مواجهة قوى التدمير واللامعنى.[1]

إن هذا التراكم الفلسفي هو ما أسس لانتقال الألم من مجرد تجربة فسيولوجية فردية إلى "موقف إبستيمولوجي" ومحرك للتاريخ. وفي سياق الدراسات ما بعد الكولونيالية، لا يبقى هذا الألم الفلسفي مجرداً في بطون الكتب، بل يتشابك مع التاريخ السياسي ليفرز ما نصطلح عليه بـ "ذاكرة الألم"، حيث يُستثمر القلق الوجودي وعبثية المصير كأدوات لتفكيك السرديات الاستعمارية ومحاكمة آلات الدمار (كالتجارب النووية) التي استهدفت الكينونة في الصميم.

[1]- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ص 59-62

3- من الألم الفردي إلى «ذاكرةالألم» الجماعية

يبدوأن الألم، في جوهره الفينومينولوجي، تجربة موغلة في الذاتيةوالعزلة؛ فهو يسجن الكائن داخل حدود جسده المتألم، ويقطع صلاته الناعمة بالعالم الخارجي ليتركه وحيداً في مواجهة هشاشته. غير أن هذه العزلة الأنطولوجية سرعان ما تتصدع حين يكون مصدر الألم فاجعة تاريخية كبرى أو عنفاً كولونيالياً ممنهجاً يطال مجتمعاً بأسره. في هذه اللحظة الفاصلة، يغادر الألم حيزه البيولوجي والفردي الضيق، لينصهر في بوتقة أشمل، مؤسساً لما يُعرف بـ "ذاكرة الألم" الجماعية.

أ- الأطر الاجتماعية للألم والذاكرة :لا يمكن فهم انتقال الألم من الفرد إلى الجماعة دون العودة إلى الطروحات السوسيولوجية لـ "موريس هالبواكس " (Maurice Halbwachs)، الذي أرسى دعائم مفهوم "الذاكرة الجماعية". يرى هالبواكس أن الأفراد لا يتذكرون في فراغ مطلق، بل يستعيدون ماضيهم ويبنون وعيهم من خلال انتمائهم إلى "أطر اجتماعية" محددة (كالأسرة، أو الوطن، أو جماعة الضحايا).[1]

وعندما تتعرض هذه الجماعة لصدمة عنيفة تهدد وجودها ـــ كالتفجيرات النووية أو الإبادة الثقافية ـــ فإن الجرح الفردي يتماهى مع الجرح العام، لتصبح المعاناة "رابطة سوسيولوجية" متينة توحد الضحايا. إن الألم الفردي يتلاشى فيزيولوجياً بموت صاحبه، أما "ذاكرة الألم" فتكتسب ديمومتها من خلال تناقلها عبر الأجيال كإرث هوياتي ومحدد أساسي لانتماء الفرد لجماعته.

ب- ذاكرة الألم بوصفها مقاومة (واجب الذاكرة) :في سياق العنف الاستعماري، لا تُعد "ذاكرة الألم" مجرد مستودع سلبي للندوب والتشوهات التاريخية، بل تتحول

[1]- موريس هالبواكس، **الذاكرة الجماعية**، ترجمة: ديزي شيا، دار المعرفة، بيروت، ص 55-58.

إلى طاقة ممانعة صلبة وخطاب إدانة. يُشير "فرانتز فانون (Frantz Fanon) "إلى أن الاستعمار لا يكتفي باحتلال الجغرافيا وسلب الثروات، بل يسعى بدأب إلى تفتيت الوعي، وطمس التاريخ، وإقناع المستعمَر بدونية وجوده.[1]

ولمواجهة هذا المحو الإبستيمولوجي، تعمد الجماعة المستعمَرة إلى تحويل آلامها المشتركة (كالتجنيد القسري، والتهجير، والإشعاع النووي الذي يلوث النسل والمكان) إلى سردية مضادة. تصبح الذاكرة المكلومة هنا، وفق المقاربة الفلسفية لـ "بول ريكور(Paul Ricoeur) "، التزاماً أخلاقياً يُعرف بـ "واجب الذاكرة (Devoir de mémoire) "؛ وهو واجب يهدف إلى إنصاف الضحايا، ومقاومة النسيان، ومساءلة التاريخ الرسمي المزور الذي عادة ما يكتبه الجلادون والمنتصرون.[2]

ج- السرد الروائي وحاضنة الذاكرة :من هذا المنطلق، ينهض الخطاب الأدبي، والرواية على وجه التحديد، بدور محوري في نقل الألم من صمته الفردي المطبق إلى فضاء البوح الجماعي المؤثر. إن الروائي حين يكتب نصاً ينتمي إلى "أدب الذاكرة"، فهو لا يوثق أنين بطل مفرد أو يكتب سيرته الذاتية المنعزلة، بل يستعير صوت هذا الفرد ليوقظ ذاكرة أمة بأكملها، محولاً النص إلى "أرشيف عاطفي" يحرس الحقيقة من الزوال.

إن هذا التحول الدقيق من المكابدة الشخصية إلى الوعي الجمعي هو المفتاح المنهجي الأبرز لتفكيك رواية «غرنوة». ففي هذا النص، لا يبقى عذاب البطل "الحساني" حبيس جسده المنهك، بل ينصهر في أتون المأساة النووية لصحراء رقان، لتتحول مذكراته وسيره المتعب في "زقاق الظلمة" من مرثية ذاتية، إلى وثيقة اتهام جماعية تنطق بلسان كل من مستهم نار "النادي النووي" الكولونيالي.

---

[1]- فرانتز فانون، **معذبو الأرض**، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفارابي، بيروت، ص 52.

[2]- بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، ص 115-120.

المبحث الثاني: مفهوم الوعي في الخطاب الأدبي

إذا كان الألم يمثل التجربة الوجودية الخام التي تصدم الكائن وتضعه أمام هشاشته، فإن الوعي يمثل الفاعلية الإدراكية التي تعيد قراءة هذه التجربة وتحويلها من "أنين صامت" إلى "خطاب ذي معنى". فالوعي في الأدب ليس مجرد انعكاس سلبي للواقع، بل هو مختبر حي تتبلور فيه الهوية وتتشكل عبره مواقف الذات تجاه الوجود والتاريخ.

1- الوعي الفردي وتحولات الذات

يُشكل الوعي الفردي (IndividualConsciousness) النواة الصلبة التي يقوم عليها الخطاب الروائي الحديث؛ إذ لم يعد البطل مجرد "نمط" اجتماعي يؤدي وظائف سردية محددة، بل أصبح "ذاتاً" إشكالية مشغولة بسؤال كينونتها.

أ- من الوعي العقلي إلى الوعي الوجودي :بدأ المسار الفلسفي للوعي مع "رينيه ديكارت (René Descartes) "الذي جعل من الوعي بالذات (الكوجيتو: أنا أفكر إذن أنا موجود) اليقين الأول الذي تنهض عليه الحقيقة .[1]

غير أن هذا الوعي ظلّ عقلياً مجرداً، ومنفصلاً عن وجع التاريخ. ومع ظهور الفلسفات الوجودية، انتقل الوعي إلى حيز "التجربة المعيشة"؛ حيث أصبح الوعي بالذات لا يمر عبر التفكير المجرد فحسب، بل عبر مكابدة الحرية والقلق. بالنسبة لـ "جان بول سارتر"، الوعي هو انفتاح الذات على العالم، وهو القوة التي تمنح الإنسان القدرة على تجاوز واقعه المأزوم واختيار ماهيته.[2]

---

[1]- رينيه ديكارت، **مقال عن المنهج**، ترجمة: محمود محمد الخضيري، دار المعارف، القاهرة، ص 53.

[2]- جان بول سارتر، **الوجود والعدم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ص 41-45.

ب- أثر "ذاكرة الألم" في تحول الذات :في سياق أدب المحنة والذاكرة، لا يتشكل الوعي الفردي في حالة من الهدوء، بل يولد من رحم "الصدمة (Trauma). "إن الذات قبل وقوع الكارثة (كالجريمة النووية أو القهر الاستعماري) تكون ذاتاً ساكنة أو منسجمة مع محيطها، لكن صدمة الألم تعمل كمحرض يكسر هذا الانسجام .هنا تبرز "تحولات الذات"؛ إذ ينقسم الوعي إلى ما قبل الصدمة وما بعدها. يتحول الفرد من كائن يعيش الحياة بشكل تلقائي إلى ذات متأملة ومغتربة تعيد مساءلة كل شيء. إن "ذاكرة الألم" المستمرة في الوعي تمنع الذات من العودة إلى حالتها الأولى، وتجعل من القلق الوجودي محركاً دائماً للبحث عن الخلاص أو البوح.

ج- الوعي الفردي في التشكيل السردي :انعكس هذا التحول في بنية الوعي على تقنيات الرواية الحديثة؛ فظهر "المونولوج الداخلي" و"تيار الوعي" كأدوات جمالية لاستنطاق هذا الوعي الفردي المأزوم. فالرواية حين تتبنى وجهة نظر البطل (كما في شهادة الحساني في غرنوة)، فإنها لا تسرد أحداثاً بقدر ما ترصد "تحولات وعيه" وهو يواجه زقاق الظلمة.[1]

إن الذات في هذا السياق تتحول من "ضحية" تتلقى الضربات، إلى "ذات واعية" تدرك أبعاد المؤامرة التاريخية التي استهدفتها. وبذلك، يصبح الوعي الفردي هو العتبة الأولى والضرورية للعبور نحو الوعي الجمعي والمقاومة؛ فلا يمكن للجماعة أن تعي مأساتها ما لم تكن هناك ذوات فردية استطاعت أن تعي جراحها الخاصة وتحولها إلى ذاكرة حية وموثقة.

[1]- يُنظر: إيان وات، **نشوء الرواية**، ترجمة: ثائر ديب، دار التكوين، دمشق، ص 15-20 (حول ارتباط الرواية بالنزعة الفردية والوعي الذاتي).

2- الوعي الجمعي بوصفه مقاومة

إذا كان الوعي الفردي يمثل لحظة المكابدة الذاتية والبحث عن الخلاص الشخصي، فإن "الوعي الجمعي (Collective Consciousness) "هو القوة التي تمنح المعاناة بُعداً تاريخياً وموقفاً نضالياً صلباً. ينزاح الوعي في هذا السياق عن كونه حالة ذهنية منعزلة، ليصبح "رابطة سوسيولوجية" توحد الضحايا خلف "ذاكرة ألم" مشتركة تسعى لاسترداد الحق المسلوب ومحاكمة الجناة.

أ- من النسق الاجتماعي إلى رؤية العالم :يتأسس الوعي الجمعي، وفق طروحات "إميل دوركايم(Émile Durkheim) "، على جملة المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أعضاء المجتمع الواحد، والتي تشكل نسقاً حيوياً يتجاوز وعي الأفراد المنعزلين ليصبح قوة فاعلة في توجيه سلوك الجماعة .[1] وفي سياق المآسي التاريخية، يتطور هذا الوعي ليصبح ما يسميه "لوسيان غولدمان (Lucien Goldmann) "بـ "الوعي الممكن" أو "رؤية العالم"؛ وهي الرؤية التي تعبر عن تطلعات جماعة اجتماعية معينة وموقفها من قضايا الوجود والصراع.[2]

إن الوعي الجمعي لا يكتفي بإدراك الألم، بل يُنظمه في إطار "ذاكرة جمعية" (كألم التجارب النووية في رقان)، حيث يتحول الجرح الفردي للبطل "الحساني" إلى جرح وطني كلي. فالفرد لا يتألم لنفسه فقط، بل يشعر بآلام الأجيال السابقة واللاحقة، مما يحول الوعي من حالة وجدانية سلبية إلى "قوة ضاغطة" ترفض النسيان.

---

[1]- إميل دوركايم، **تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمة: حافظ الجمالي، دار كنعان، دمشق، ص 84-88.

[2]-لوسيان غولدمان، **من أجل علم اجتماع للرواية**، ترجمة: حنان قصاب حسن، دار الحوار، سوريا، ص 34-36.

ب- الوعي الجمعي وسؤال المقاومة الإبستيمولوجية :يمارس الوعي الجمعي في الخطاب ما بعد الكولونيالي وظيفة "المقاومة الإبستيمولوجية" (المعرفية). فحين يسعى المستعمر لطمس معالم الجريمة النووية وإقبار الذاكرة تحت الرمال، ينهض الوعي الجمعي كحائط صد يرفض السردية الإمبراطورية. يؤكد "فرانتز فانون" أن تحرر الشعوب يبدأ من "الوعي الوطني" الذي يعيد بناء الهوية المحطمة عبر استعادة الذاكرة النضالية.[1]

تتحول "ذاكرة الألم" هنا إلى "سردية مضادة(Counter-Narrative) "؛ حيث يتشكل الوعي بضرورة "الرد بالكتابة" لانتزاع حق التمثيل التاريخي. إن الجماعة التي تعي حجم التنكيل الذي طال كيانها الجسدي والبيئي (كما في صحراء رقان) تنتقل من موقع "المفعول به" تاريخياً إلى موقع "الفاعل" الذي يُحاكم ويُوثق. وبذلك، يصبح الوعي الجمعي هو المحرك الذي يحول الألم من مجرد "محنة" إلى "قضية" (كما يتجلى في بنية الرواية "شاهد وقضية").

ج- تلاحم الوعي والذاكرة في التحدي السردي :إن الوعي الجمعي بوصفه مقاومة لا يتجلى فقط في الفعل الثوري المباشر، بل في الإصرار على البقاء والشهادة. إن تلاحم الشخصيات في الرواية (الحساني، السباعي، الغيواني) حول هدف واحد، يعكس تشكل "كتلة وعي" مشتركة تدرك أن مصيرها واحد.[2]

هذا الوعي هو الذي يجعل من "ذاكرة الألم" وقوداً لاستمرار السير في زقاق الظلمة بقلق وجودي يبحث عن الحقيقة لا عن الاستسلام.

وهكذا، يغدو الوعي الجمعي هو الضامن لديمومة "ذاكرة الألم"؛ فهو الذي يمنع الجريمة من أن تصبح مجرد حدث عابر في أرشيفات الجلاد، ويحولها إلى شعلة

[1]-فرانتز فانون، **معذبو الأرض**، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفارابي، بيروت، ص 180.

[2]- يُنظر: عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة شاهد وقضية، ص 19 (حول تلاحم الشخصيات في خلية الدعم).

متقدة في وجدان الأمة، مُحوّلاً النص الروائي من مجرد حكاية إلى "محكمة أدبية" تنتصر للضحايا وتدين الوحشية الاستعمارية.

3- السرد الروائي بوصفه أداة لبناء الوعي

لا يكتفي الخطاب الروائي المعاصر بوظيفة الانعكاس السلبي أو التسجيل الآلي للواقع، بل ينهض بوظيفة "إبستيمولوجية" (معرفية) وبنائية، تعيد صياغة إدراك الإنسان لذاته ولموقعه في خريطة التاريخ. إن الرواية، وخاصة تلك التي تنبثق في فترات الاستعمار والمآسي الكبرى، تتحول من مجرد "شكل جمالي" إلى "مختبر للوعي"؛ حيث تجد "ذاكرة الألم" في البنية السردية الإطار الأمثل لترتيب فوضاها وتحويل صدمة المعاناة إلى خطاب عقلاني ومقاوم.

أ- الهوية السردية وتحويل الألم إلى إدراك :تطرح الفلسفة التأويلية، وعلى رأسها بول ريكور(Paul Ricoeur) ، مفهوماً بالغ الأهمية يتمثل في "الهوية السردية " (L'identité narrative). يرى ريكور أن الذات لا يمكنها إدراك كينونتها الزمنية والتاريخية إلا من خلال قدرتها على "سرد قصتها ."[1]وبإسقاط هذا المفهوم على أدب المحنة، نجد أن "ذاكرة الألم" وهي في حالتها الخام تظل مجرد صدمة خرساء ومشتتة(Trauma) ، غير أن انخراطها في مسار "السرد الروائي" يمنحها بنية حبكة متماسكة. إن الرواية تجبر الذات المتألمة على ترتيب أحداث مأساتها، وتسمية جلاديها، ومساءلة أسباب معاناتها. هذا الانتقال من "تلقي الحدث" إلى "سرد الحدث" هو في جوهره انتقال من "غياب الوعي" إلى "يقظة الوعي"؛ فمن يمتلك القدرة على سرد ألمه، يمتلك القدرة على فهمه وتجاوزه.

[1]- بول ريكور، **الزمن والسرد** (الجزء الأول: الحبكة السردية)، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص 88-92.

ب- السرد الروائي بوصفه "تفكيكاً" للهيمنة :في السياق ما بعد الكولونيالي، يكتسب السرد الروائي وظيفة نضالية حاسمة تتعلق بالتمثيل وصناعة الحقيقة. يؤكد "إدوارد سعيد" أن الصراع الإمبريالي ليس صراعاً على الجغرافيا والموارد فحسب، بل هو بالأساس صراع على "السرديات"؛ فالمستعمر يفرض هيمنته من خلال احتكار كتابة التاريخ وتبرير جرائمه (كالتجارب النووية) تحت غطاء التقدم العلمي[1] .لذا، يبرز السرد الروائي كأداة لبناء "وعي مضاد" أو ما يُعرف بـ "الرد بالكتابة". إن الرواية تمنح الصوت للضحايا والمهمشين الذين غيبتهم الأرشيفات الرسمية، ليعيدوا كتابة التاريخ من منظورهم الخاص. حين يُروى الألم بلسان أصحابه، فإنه يُعري الزيف الكولونيالي، ويحطم ادعاءات المستعمر، مؤسساً لوعي جمعي يرفض استلاب الذاكرة.

ج- التخييل والتوثيق لإنقاذ الذاكرة :تكمن قوة السرد الروائي في قدرته على المزاوجة بين صرامة "التوثيق" وحرية "التخييل". فالتاريخ الرسمي قد ينقل أرقام الضحايا وتواريخ التفجيرات، لكنه يعجز عن نقل "رجفة الروح" و"القلق الوجودي" الذي يعتصر الإنسان. هنا تتدخل الرواية لتبني وعياً وجدانياً عميقاً؛ فهي تؤنسن الكارثة وتجعل القارئ شريكاً في "ذاكرة الألم."

إن هذا التأطير النظري هو ما يفسر لجوء الرواية الجزائرية المعاصرة (كما هو الحال في التشكيل الفني لرواية "غرنوة") إلى تقنيات "الشهادة والمذكرات". فالسرد هنا يتجاوز غايته الإمتاعية ليصبح "قضية" تُعرض أمام محكمة الضمير الإنساني؛ حيث تُنقل الذاكرة المكلومة من جيل إلى جيل، لضمان استمرارية الوعي المقاوم الذي يرفض الخضوع لزقاق الظلمة التاريخي الذي فرضه الاستعمار.

.

[1]- إدوارد سعيد، **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ص 25، 112.

الفصل الثاني:

ذاكرة الألم وتجلياتها في رواية «غرنوة»"

يُمثل هذا الفصل عتبة التحليل التطبيقي التي تتقصى كيفية تموضع "ذاكرة الألم" داخل المتن الروائي لعبد الله كروم. فإذا كان الألم الروائي هو الخيط الناظم للأحداث، فإن تجلياته تتخذ أشكالاً متعددة تتراوح بين القهر المادي المباشر، والانتهاك الوجودي العميق، والتشويه المكاني؛ مما يحول الرواية إلى شهادة حية تُعري الوجوه البشعة للمشروع الاستعماري.

المبحث الأول: ذاكرة القهر الاستعماري في الرواية

لا يكتفي السرد في «غرنوة» برصد لحظة الانفجار النووي كحدث تاريخي منفصل، بل يؤطره ضمن "بنية قهر" شاملة استهدفت استلاب الكيان الجزائري بيولوجياً وهوياتياً. إن القهر الاستعماري في النص هو الينبوع الأول الذي انبجست منه ذاكرة الألم، وهو المحرك الذي دفع الشخصيات نحو التيه والمكابدة.

1- تجليات القهر الاستعماري في الرواية

تتعدد تجليات القهر الكولونيالي في الرواية لتشمل مستويات مادية ورمزية، تحول فيها الإنسان والأرض إلى حقل تجارب لا قيمة له في ميزان "القوى العظمى."

أ- القهر عبر "العنف النووي" والاستعلاء العلمي:تتجلى أولى صور القهر في الاستهتار المطلق بالحياة البشرية والبيئية في الصحراء الجزائرية. ففرنسا الاستعمارية، في سعيها المحموم لامتلاك السلاح الفتاك، لم تضع في حسبانها الكرامة الإنسانية لسكان منطقة "رقان". ينقل لنا السارد عبر تقنية "الراديو" (مذياع ماكسو) كيف أن المحتل كان مدفوعاً بنزعة إمبراطورية **«لدخول النادي النووي»، متجاهلاً النداءات الدولية التي طالبت بالحد من سباق التسلح.**[1]

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)، إعداد وإخراج: حنين حرمة، الكتاب رقم: (1)، قناة الواحات الفضائية، ص 37.

إن هذا "الاستعلاء الكولونيالي" جعل من الجغرافيا الصحراوية مجرد مكبّ للنفايات الخطرة؛ إذ يصف "الحساني" بمرارة تحول المكان من فضاء للحياة إلى حاضنة للموت، مشيراً إلى أن الدولة الاستعمارية جاءت بجنودها (مثل ميشيل) وبالمعدات ليس لتعمير المكان، بل «**للنفايات الذرية**«التي تنفث »**الدخان المسموم الذي يفني الأجساد.**[1]

إن ذاكرة الألم هنا توثق لحظة تحول "العلم" من أداة للبناء إلى أداة للقهر والإبادة الجماعية الصامتة.

ب- القهر عبر التجنيد القسري ومسخ الهوية:يتخذ القهر الاستعماري شكلاً أكثر عمقاً وتأثيراً على البنية النفسية للشخصية من خلال سياسة "التجنيد الإجباري". لم يكتفِ المستعمر بتلويث الأرض، بل سعى لتلويث الروح عبر إجبار الجزائريين على خوض حروب لا تعنيهم (مثل حرب فيتنام) .يعبر بطل الرواية عن هذا القهر الوجودي بمرارة قاسية، واصفاً لحظة انتزاعه من عالمه الروحي الصوفي وإقحامه في آلة القتل:**أجبرت على التجنيد، وأكرهت على سماع دوي المدافع والبارود في بلاد غير بلادي... يومها كسر الأشرار قيثارتي المثقلة بالفرح، ثم استحالوها رشاشاً يقتل «.**[2]إن تحويل "القيثارة" إلى "رشاش" هو أبلغ تجليات القهر؛ فهو لا يستهدف الجسد فحسب، بل يستهدف "المعنى" والجوهر الإنساني، محولاً الذات المبدعة والمتسامحة إلى أداة دمار صماء تخدم مصالح الجلاد.

ج- القهر عبر الحقد التاريخي والتهديد بالعدم:يبرز القهر الاستعماري أيضاً في الخطاب الانتقامي الذي يمارسه الضباط الفرنسيون تجاه الجزائريين، وهو ما يجسد "الذاكرة الصدامية" بين المستعمِر والمستعمَر. يظهر هذا في شخصية

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 37.

[2]- المصدر نفسه ، ص 8.

الضابط "المكرش" الذي لم يكن يرى في الضحايا مجرد أعداء عسكريين، بل أهدافاً لحقد تاريخي موروث .يتجلى هذا القهر اللفظي والجسدي(**اليوم لا عمل لكم والمطلوب منكم البقاء في الخيام وفي حالة سماع صفارات الانذار يجب عليكم الخروج منها والجلوس على ركبة ونصف : والعيون على المرفق وظهوركم جهة النقطة صفر...**[1]إن هذا الإصرار على ملاحقة الضحية حتى في نجاتها من الموت يكرس حالة من الرعب الدائم، ويجعل من القهر الكولونيالي قدراً يلاحق الإنسان في كل مكان، ليعمق بذلك "ذاكرة الألم" ويحولها إلى هاجس وجودي يطارد الشخصية في "زقاق ظلمتها" المستمر.

2- الألم كذاكرة جماعية

يتجاوز الألم في نص "غرنوة" حدوده الفردية المنغلقة ليتسع ويحتضن مأساة مجتمع بأسره. لم تكن الجريمة النووية الاستعمارية في الصحراء تستهدف فرداً بعينه، بل استهدفت كينونة جماعية وبيئة حاضنة، مما جعل من المعاناة قاسماً مشتركاً يوحد الضحايا ويؤسس لـ "ذاكرة ألم" جمعية ترفض التفتت.

أ- الامتداد الزمني للجرح المفتوح :لا ينحصر الألم الجماعي في اللحظة التاريخية التي وقع فيها الانفجار، بل هو ألم متوارث وعابر للأزمنة. نلمس هذا البعد السوسيولوجي الممتد منذ العتبات الأولى للنص، حيث يوجه الكاتب إهداءه صراحة لتوثيق هذا الشقاء المشترك» :**إلى ضحايا مأساة الجرائم النووية الفرنسية برقان، السابقين، والحاليين، وإلى يوم الدين** «.[2]إن هذا الإعلان العتبي يُخرج الألم من حيز الحدث الكرونولوجي المنقضي ليجعله جرحاً مفتوحاً تتوارثه الأجيال؛ فالإشعاع لا يقتل الآباء فقط، بل يشوه نطف الأبناء ويلوث رحم

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 54.

[2]- المصدر نفسه، ص 2.

الأرض. وبهذا، تصبح "ذاكرة الألم" هوية جماعية قسرية فرضها المستعمر، لكن الجماعة تحولها إلى رابطة مصير توحد السلف بالخلف في مواجهة النسيان.

ب- التلاحم النضالي وتحويل الألم إلى فعل :لا تقف هذه الذاكرة الجماعية عند حدود التوجع السلبي أو البكائيات، بل تتبلور لتصبح دافعاً للتلاحم وتأسيس فعل مقاوم منظم. إن الإحساس المشترك بوطأة القهر والظلم يخلق "وعياً جمعياً" يتجسد في التكافل السري لدعم الثورة التحريرية، كنوع من الرد العملي على غطرسة الإدارة الاستعمارية .يوثق البطل "الحساني" هذا التحول الإيجابي حين يسرد تفاصيل انصهار الذوات الفردية في جسد نضالي واحد داخل "دار السباعي"، قائلاً» :**أخذ كل واحد منا دوره: "السباعي" يجمع الملابس، وشرعت أنا في جمع الطعام والحبوب والتمر اليابس، و"بازا" يجمع الأموال... ومن يومها كلفنا "الغيواني «"بالسفر والتجارة لاقتسام الأرباح مع ثوار الجبهة .**[1]

هذا المشهد ليس مجرد تفصيل سردي عابر، بل هو إثبات سوسيولوجي على أن "ذاكرة الألم" قادرة على إعادة هيكلة المجتمع المقهور. فبدلاً من أن يؤدي العنف الكولونيالي والتضييق الخانق إلى تشتيت الجزائريين وبث اليأس في نفوسهم، تحول إلى طاقة جاذبة توحد صفوف الشخصيات (السباعي، بازا، الغيواني، والحساني) وتذيب فوارقهم خلف هدف أسمى يتمثل في دحر المستعمر.

وهكذا، يغدو الألم في الرواية ملكية مشاعية، لا يُعرف به الفرد مستقلاً عن جماعته؛ فالقهر الذي طال "متاهة زقاق الظلمة" لم يولد خضوعاً، بل أنتج كتلة بشرية متراصة تتخذ من ذاكرتها المجروحة درعاً يحرس هوية الصحراء ويمنع انصهارها في سردية الجلاد المضللة.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)، إعداد وإخراج: حنين حرمة، الكتاب رقم: (1)، قناة الواحات الفضائية، ص 19.

3- الرواية كشهادة على الجريمة النووية

لا تقف البنية السردية في نص «غرنوة» عند حدود الإمتاع الجمالي أو التخييل الأدبي المجرد، بل تنهض بوظيفة توثيقية حاسمة، محولةً "ذاكرة الألم" إلى مرافعة قانونية وتاريخية ضد الجلاد. إن الأدب هنا يتدخل لسد الثغرات التي تعمد الأرشيف الكولونيالي الرسمي إحداثها لطمس معالم الجريمة النووية في الصحراء الجزائرية، فتصبح الرواية "وثيقة إدانية" تنطق بلسان الضحايا المنسيين.

أ- البنية التوثيقية وإستراتيجية "العتبات :"تتأسس هذه الوظيفة الإدانية منذ الصفحات الأولى للنص؛ حيث يتخلى الروائي عن التقديم الكلاسيكي للرواية، ليضعنا أمام إطار إعلامي وتوثيقي صارم. فالعمل لا يُقدم للقارئ بوصفه محض خيال، بل كإصدار يحمل عنوان» :سلسلة كتب **(شاهد وقضية)** الكتاب رقم: 1.[1]

إن هذا التأطير الدلالي الدقيق، الذي أعده وأخرجه الصحفي »**حنين حرمة «مقدم البرامج في قناة "الواحاتالفضائية**[2] "، يضع المتلقي مباشرة أمام "منصة شهادة". فالنص يُعلن عن نفسه كقضية رأي عام، تُستنطق فيها الذاكرة المكلومة لفضح الانتهاكات، مما يمنح "ذاكرة الألم" مشروعية الواقع وصرامة الوثيقة التي لا تقبل الدحض.

ب- استنطاق الضحية (من التهميش إلى المركز):من خلال هذا القالب التوثيقي، تُنتزع شخصية البطل "الحساني" من هامش التاريخ لتُوضع في مركزه كـ "شاهد عيان". تتحول مذكرات البطل إلى أرشيف مضاد يفضح زيف الشعارات الإمبريالية. وتتجلى ذروة هذه الشهادة في إدراكه القطعي لحجم التشويه الوجودي الذي طال كل شيء في رقان.

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 5.

[2]- المصدر نفسه ، ص 5.

-سيكون الإنسان غير الإنسان، والحيوان غير الحيوان، والتراب غير التراب، والنبات غير النبات حل المسخ وتفشى الفيروس ولا غالب الا الله«.[1]إن هذا التصريح هو نفي قاطع لكل مبررات "النادي النووي" الذي سوّق لجرائمه تحت مسمى حفظ السلام.

ج- تخليد الذاكرة وتوجيه الإدانة:لا تكتفي الشهادة في الرواية بسرد ما حدث، بل تتجه نحو توثيق موقف أخلاقي وتاريخي حاسم. إن "ذاكرة الألم" تفرض على الشاهد (الحساني) ألا يغادر مسرح مأساته دون أن يصدر حكمه على الجناة. يتجلى ذلك في اللحظة الرمزية العميقة حين يوجه رسالته عبر طائري "غرنوة" والورقاء إلى »**كل من فكر ودبر فيالجريمة: اللعنة عليكم إلى يوم الدين** «.[2]هذه اللعنة ليست مجرد شتيمة عابرة، بل هي صك إدانة تاريخي يسجله الأدب في صحيفة الاستعمار الفرنسي. وبهذا، ينجح عبد الله كروم في تحويل روايته من مجرد وعاء يسرد عذابات الماضي، إلى أداة فاعلة تمارس "واجب الذاكرة"، وتحرس الحقيقة من المحو، وتؤكد أن الجرائم ضد الإنسانية لا تسقط بالتقادم، بل تظل حية ترزق في ضمير النص الروائي.

المبحث الثاني: ذاكرة الألم الوجودي والنفسي

إذا كان القهر الاستعماري قد استهدف الجسد والجغرافيا في مقام أول، فإن أثره الأعمق قد استوطن في ثنايا الوعي، مخلفاً وراءه "ذاكرة ألم" نفسية ووجودية لا تُمحى. يتحول الألم في رواية «غرنوة» من مجرد رد فعل حسي على الإشعاع أو التعذيب، إلى "أزمة كينونة" شاملة تضع الإنسان أمام أسئلة العبث، والضياع، والموت الصامت.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، المصدر السابق،.ص56.

[2]- المصدر نفسه، ص 185.

1- الاغتراب والقلق الوجودي

يمثل "الاغتراب (Alienation) "و"القلق الوجودي (Angst) "الخيطين الناظمين لحياة البطل "الحساني ولد مولاي الشريف". فالمأساة النووية لم تقتل البشر فحسب، بل نزعت عنهم "الألفة" مع العالم، ليجد الإنسان نفسه مغترباً عن أرضه، وعن جسده، وعن روحه التي شوهها العنف.

أ- الاغتراب الذاتي (انشطار الروح):تتجلى أولى ملامح الاغتراب النفسي في الفجوة العميقة بين جوهر الشخصية وبين الواقع الذي أُقحمت فيه قسراً. يصف الحساني نفسه بأنه كائن **انا شخصقادم من عوالم التصوف ونوازع الزهد**[1] « وهو عالم يقوم على السلام الروحي والارتقاء الوجداني. غير أن هذا الصفاء الصوفي يصطدم بقسوة الاستعمار التي مارست عليه نوعاً من "الاغتراب الذاتي" عبر التجنيد الإجباري، محولةً إياه إلى كائن غريب عن فطرته .إن هذا التشظي النفسي ولّد لدى البطل إحساساً مزمناً بـ "الشؤم"؛ حيث بات يرى نفسه طالع سوء تفر منه النساء.»

(كأنهن رأين الأشباحوالعفاريت...ويالشؤمي).[2]«هذا الشعور بالمنفى الداخلي هو أصدق تعبير عن ذاكرة الألم التي لا تكتفي بتمزيق الجسد، بل تزرع الاغتراب في صميم الهوية الشخصية.

ب- القلق الوجودي في "زقاق الظلمة :"ينتقل الألم من الحيز النفسي الفردي ليصبح "قلقاً وجودياً" كلياً يتجسد في رمزية "المتاهة" و"الزقاق المظلم". فالمكان في الرواية ليس مجرد حيز جغرافي، بل هو انعكاس لحالة الانسداد التي يعيشها الوعي الجزائري المكلوم .يعبر الحساني عن هذا القلق الذي يلاحق خطواته بقوله:

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 8.

[2]-.المصدر نفسه ص8.

(ما زلت اسيرفي زقاق الظلمة الطويل، الذي لايريد أن ينتهي؟) .[1]«إن تساؤله عن نهاية "الظلمة" هو تساؤل عن معنى الوجود في عالم فقد بوصلته الأخلاقية والإنسانية بعد الجريمة النووية .هذا القلق لا ينتهي بانتهاء الحدث التاريخي، بل يظل مصاحباً للشخصية حتى في ختام شهادتها، حيث يؤكد البطل» :**أواصل السير في زقاق الظلمة بقلق وجودي، لأصل مبتغاي على مَهَل** .[2]«إن "السير على مَهَل" مع القلق يعكس قبول الشخصية لهذا الألم بوصفه "شرطاً وجودياً" للبحث عن الحقيقة؛ فالألم هنا هو الذي يمنح الوعي يقظته، ويمنع الذات من الانخراط في زيف الشعارات التي تروج لسلام أو عدالة يصفها الحساني بأنها »**حديث خرافة**[3] «

ج- الاغتراب عن الجسد (العدو الصامت) :يأخذ القلق الوجودي بعداً مادياً مروعاً عبر "الجسد المشعع". فالإنسان الذي تعرض لسموم رقان يصبح مغترباً عن جسده؛ إذ يتحول اللحم والدم من سكن للروح إلى مصدر للخطر والموت. هذا النوع من الألم النفسي يضع الإنسان في صراع مرير مع "ذاته البيولوجية"؛ فالجسد الذي يُفترض أن يكون وسيلة للتواصل مع العالم يصبح جداراً عازلاً وتهديداً مستمراً للنسل وللحياة. إن "ذاكرة الألم" هنا تسجل لحظة "خيانة الجسد" لصاحبه بفعل فاعل كولونيالي، مما يعمق حالة التيه الوجودي ويجعل من البقاء على قيد الحياة بحد ذاته نوعاً من العذاب النفسي المستمر.

2- التجنيد القسري وتشظي الذات

يُمثل "التجنيد القسري" إحدى أعنف آليات السيطرة الكولونيالية التي تركت ندوباً غائرة في "ذاكرة الألم" الجزائرية. فالاستعمار الفرنسي لم يكتفِ بمصادرة الأرض والثروات، بل امتدت يده لمصادرة "الجسد" و"الإرادة"، مُجبراً أبناء

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 14.

[2]-المصدر نفسه، ص 186.

[3]- المصدر نفسه ، ص 186.

المستعمرات على خوض حروب إمبريالية لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وفي رواية «غرنوة»، يشكل هذا التجنيد نقطة الانكسار الكبرى التي أدت إلى "تشظي الذات" وتصدع هويتها الفطرية.

أ- اغتيال البراءة والانخراط القسري في العنف: تتعمق المأساة النفسية للبطل "الحساني" حين يُقتلع من بيئته الصحراوية المسالمة ليُزج به في أتون حروب غريبة كحرب فيتنام. إن هذا الاقتلاع يرافقه تشوه عميق في هويته الشخصية واغتراب وجداني حاد يجعله يبدو كائناً غريباً حتى عن محيطه الاجتماعي بعد العودة، وهو ما يوثقه السارد بمرارة واصفاً نظرة المجتمع للضحية» :**خنقوا كل روح،أهلي حظيرتي ،واحتي..ذبح الفطر السام أمي ذبحة صدرية.**[1]إن هذا النفور الاجتماعي يعكس كيف تحول الجسد المجند قسراً إلى رمز للشؤم والانكسار، لتستقر في وعيه ذاكرة ألم تمنعه من استعادة توازنه الفطري.

ب- جدلية "القيثارة" و"الرشاش" (خراب الروح): يبلغ التشظي النفسي ذروته عندما يُعبر "الحساني" عن التحول القسري في هويته، مستعيراً صورة شعرية بالغة الدلالة تكشف حجم الدمار الداخلي» :**يومها كسر الأشرار قيثارتي المثقلة بالفرح، ثم استحالوها رشاشاً يقتل** .[2]«في هذا المقطع المكثف، تبرز ثنائية ضدية تختزل الانتهاك الكولونيالي: "القيثارة" بوصفها رمزاً للفن، والسلام، والتناغم الكوني الذي جُبلت عليه الروح الجزائرية، في مقابل "الرشاش" الذي يمثل أداة الموت، والعمى، والقسوة الاستعمارية. إن تكسير القيثارة لا يعني فقط تحطيم آلة موسيقية، بل هو اغتيال لـ "الفرح" وتشويه للبنية الوجدانية للشخصية. ومن خلال إحالته إلى القوة الغاشمة (الأشرار) التي استحالت فطرته إلى آلة قتل، يدون السارد أعمق جراحات "ذاكرة الألم"، المتمثلة في التشويه الأخلاقي للذات.

---

[1] عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 8

[2]- المصدر نفسه، ص 8.

ج- الذاكرة المعطوبة واستحالة العودة: إن التشظي الناجم عن هذا التجنيد القسري يترك البطل في حالة من الشلل النفسي الدائم. فحتى بعد انتهاء الحرب والعودة إلى الديار، تظل "ذاكرة الألم" محتفظة بصدى "دوي المدافع"، مانعةً الذات من استعادة وحدتها المفقودة. لم يعد "الحساني" قادراً على الاندماج في محيطه الأول، بل بات يحمل في داخله "عقدة الناجي" المشوه الذي يرى في نفسه مصدراً للشؤم والانكسار(**إذكلما أحببت شيئاأبيد واندثرولم يبق منه الا الاثر)**[1] .

يتحول هذا التشظي إلى جرح وجودي مفتوح، يضع الشخصية أمام سؤال قاهر عن الجدوى والمعنى في عالم استعماري يصادر من الإنسان حتى حقه في اختيار طريقة حياته أو موته. وهكذا، يُصبح التجنيد القسري في نص عبد الله كروم ليس مجرد حدث تاريخي عابر، بل هو "جريمة أنطولوجية" فتتت كينونة الإنسان الجزائري وأحالته إلى شظايا تتخبط في متاهتها الوجودية.

3- عبثية المصير في «زقاقالظلمة»

يُشكل مفهوم "العبث (L'Absurde) "ذروة المعاناة الوجودية في رواية «غرنوة»؛ حيث تتصادم رغبة الإنسان الفطرية في البحث عن المعنى والعدالة مع واقع استعماري أصم ومجرد من كل قيمة أخلاقية. وفي هذا الصدام القاسي، تنبثق "ذاكرة الألم" لتسجل حالة الضياع الشامل التي تكثفت ببراعة في الفضاء الرمزي الذي عنون به الكاتب روايته: "متاهة زقاق الظلمة."

أ- السير في المتاهة وسيزيفية الألم: يمثل "زقاق الظلمة" في النص المعادل الموضوعي للانسداد التاريخي والعبث الوجودي. فالزقاق، بطبيعته المغلقة والمظلمة، ينفي فكرة الخلاص القريب ويحيل الشخصية إلى مكابدة سيزيفية (نسبة إلى أسطورة سيزيف)؛ حيث الجهد مستمر والوصول مستحيل. يصف البطل "الحساني" هذا العبث القاهر الذي يبتلع خطواته قائلاً» :

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 8

(زقاق طيني مظلم هذا الذي أمشي فيه ا سمع جعجعة الرحى «...)[1]إن هذا "اللا أدري" يعكس عمق الصدمة النووية التي أفقدت الذات يقينياتها وجعلتها تدور في حلقة مفرغة. فالاستعمار لم يدمر المكان فحسب، بل دمر "الزمن" و"المستقبل"، جاعلاً من استمرار الحياة بحد ذاته عبئاً وعبثاً لا طائل منه. ورغم هذا الضياع، فإن "ذاكرة الألم" تفرض على البطل مواصلة السير، لا أملاً في النجاة، بل كنوع من "التمرد الوجودي" على العتمة المفروضة.

ب- عبثية الموت المشترك (مأساة ميشيل):يتسع الإدراك الوجودي لعبثية المصير ليتجاوز الذات الجزائرية المقهورة ويشمل حتى أداة القهر ذاتها (الجندي الفرنسي). إن "النادي النووي" الإمبريالي لا يقيم وزناً للإنسان أياً كانت هويته، وهو ما يتجلى في نظرة الحساني المتأملة والمشفقة تجاه الجندي "ميشيل". يقرأ البطل في مصير هذا الجندي قمة العبث التاريخي متسائلاً» :**مسكين "ميشيل". حتى هو لا يعرف ماذا يعمل هنا في قلب صحراء جرداء... لا يعرف أن هذه الدولة التي جاءت به من مدن العطور جاءت به للنفايات الذرية؟ «.**[2]هذه المفارقة الصارخة بين "مدن العطور" (ادعاءات الحضارة والتنوير) وبين "مقبرة النفايات الذرية" (حقيقة التدمير) تفضح العبث الكولونيالي المريع. إن الآلة الاستعمارية تسحق الجميع وتجعل من مصير المستعمِر والمستعمَر مصيراً عبثياً مشتركاً في مسلخ الإشعاع. وهنا، تسجل "ذاكرة الألم" أن الجريمة النووية هي خيانة للإنسانية جمعاء، وليست مجرد صراع بين جيشين.

ج- انهيار السرديات الكبرى (الخرافة الكولونيالية):تصل عبثية المصير إلى منتهاها حين تدرك الذات المتألمة زيف كل القيم والشعارات التي روج لها العالم الحديث. فبعد مكابدة التفجيرات النووية، يطوي البطل صفحة أوهامه بخصوص الهيئات الدولية، معلناً الدخول في نفق وجودي مظلم يُعطل قيمة الزمن.

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، ص 13.

[2]- المصدر نفسه ، ص 37.

(لم نعد نرى الأمل ونوره، لا مستقبل لنا على هذا الكون) «.[1]إن هذا اليقين المأساوي هو تفكيك جذري للسردية الاستعمارية التي حاولت شرعنة الإبادة النووية تحت غطاء التقدم العلمي.

المبحث الثالث: المكان بوصفه حاملًا لذاكرة الألم

لا يُشكل الفضاء المكاني في رواية «غرنوة» مجرد إطار جغرافي محايد أو خشبة مسرح صامتة تقع عليها الأحداث، بل ينهض بوظيفة "الفاعل السردي" الذي يشارك الشخصيات مأساتها .لقد تعرض المكان لعنف موازٍ للعنف الذي طال الإنسان، مما جعله وعاءً حافظاً لـ "ذاكرة الألم" وشاهداً مادياً ورمزياً على وحشية الآلة الكولونيالية التي سعت لمحو الحياة من الجذور.

1- الصحراء كأرشيف للجريمة

لطالما ارتبطت الصحراء في المخيال الشعبي والأدبي بالامتداد اللامتناهي، والصفاء الروحي، والطهرانية .غير أن السرد الروائي عند عبد الله كروم يمارس تفكيكاً مأساوياً لهذه الصورة(**في صحراء تانزروفت خنقها الغازالمسموم**)[2].حيث يوثق كيف عمل الاستعمار الفرنسي على تدنيس هذا الفضاء الفطري، وتحويله من حاضنة للحياة إلى "أرشيف" مفتوح يوثق أبشع الجرائم ضد الإنسانية والبيئة.

أ- من فضاء الطهرانية إلى مقبرة نووية :تتأكد فداحة الانتهاك المكاني في التناقض الصارخ الذي يطرحه السارد بين هوية الجلاد وهوية المكان الذي تم تدميره. لم يأتِ المستعمر إلى الصحراء لتعميرها، بل اختارها لتكون مسلخاً بعيداً عن الأنظار لتجاربه الذرية، وهو ما يوثقه النص بمساءلة استنكارية حارقة

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 56

[2]- المصدر نفسه،.ص 56

موجهة لمركز القرار الكولونيالي» :**جنون العظمة يدفع الجنرال ديغول : لتفجير قنبلة ذرية.....)(أي جناية ارتكبناها يا ديغول لتزرع في أرضنا السم؟ وتتركه يحوم في واحتنا، في جوف أرضها، وفي غلاف جوها** «.[1]إن هذا النقش الإشعاعي سلب المكان قداسته ليحوله إلى مستودع دائم للألم الكوني.

إن هذا التضاد بين "مدن العطور" (التي ترمز للحضارة الغربية المدعاة) و"النفايات الذرية" (التي تجسد حقيقة التدمير) يعري الزيف الاستعماري، ويسجل في "ذاكرة الألم" كيف تحولت رمال الصحراء إلى مستودع للسموم .لقد سُلب المكان قداسته ليصبح مقبرة جماعية تعج بالإشعاع وتوثق عنجهية "النادي النووي."

ب- المكان والتوثيق الإيكولوجي للوجع:لا تقتصر الذاكرة المكانية على الأثر النفسي، بل تتعداه إلى التوثيق الإيكولوجي (البيئي) للجريمة .فالصحراء في الرواية تحتفظ بالأدلة المادية للإبادة، حيث اختنق فضاؤها المفتوح بـ «**وعلى حساب نقاء الارض التي ستتلوث بنفايات ذرية ستخنق الزرزور والحمائم ...** « .[2]إن هذا الدخان ليس مجرد عارض مؤقت تبدده الرياح، بل هو نقْشٌ كولونيالي في جسد المكان، يجعل من رقان وصحرائها أرشيفاً حياً ينطق بحجم الكارثة.

فالإشعاع الذي تسرب إلى ذرات الرمل والماء والهواء جعل من الجغرافيا الجزائرية وثيقة إدانة دائمة ومستمرة .وبذلك، لا يعود المكان مجرد خلفية جغرافية للألم، بل يصبح هو ذاته كياناً متألماً، يحمل في جوفه إرثاً من الخراب الذي يقاوم محاولات الطمس، ويقدم للأجيال القادمة نصاً مكانياً مشفراً يروي فصول "ذاكرة الألم" الإشعاعية ويحرسها من النسيان.

[1]- عبد الله كروم، غرنوة: متاهة زقاق الظلمة، ص 55

[2]- المصدر نفسه، ص 39.

2- زقاق الظلمة والاختناق الوجودي

يتجاوز المكان في رواية «غرنوة» أبعاده الهندسية والجغرافية ليتحول إلى "طوبوغرافيا نفسية" تعكس حالة التيه والضياع التي تكابدها الذات الجزائرية. يمثل "زقاق الظلمة" ـــالذي يتصدر العتبة الأولى للنص (العنوان)ـــ التجسيد المكاني الأبرز لحالة "الاختناق الوجودي" والانسداد التاريخي الذي أفرزته الجريمة النووية. فإذا كانت الصحراء ترمز إلى الامتداد الشاسع الذي تم تلويثه ومصادرته، فإن الزقاق يرمز إلى الحيز المغلق والمتاهة التي تحاصر وعي الضحية وتخنقه.

أ- الزقاق كفضاء كابوسي لـ "ذاكرة الألم:"يتقاطع المكان مع الحالة الشعورية للبطل "الحساني" تقاطعاً عضوياً؛ فدخول الشخصية في هذا الحيز الضيق هو معادل موضوعي لانسداد الآفاق إثر الصدمة. يتبلور هذا الاختناق المكاني في تحول الفضاء من الطور الإنساني الطبيعي إلى الطور الوبائي الكابوسي(**ولكن الاخطر ــفي نظري ــتلك السحابة السوداءالتي تصاعدت وانتشرت في الاجواء واصبحت الكرة الارضية سوداء)**.[1]إن الظلمة هنا تتجاوز البعد الفيزيائي لتصبح عتمة تاريخية أنطولوجية تصادر حق الإنسان في استشراف أي أفق خلاصي.

ب- من الاختناق المكاني إلى القلق الفلسفي:لا يقف "زقاق الظلمة" عند كونه حاضنة للاختناق والضياع، بل يتحول تدريجياً إلى مضمار لإنضاج الموقف الفلسفي للشخصية. إن الألم المتولد عن الاحتكاك بهذا المكان المغلق لا يدفع البطل نحو العدمية أو الاستسلام المطلق، بل يولد لديه طاقة استثنائية لمجابهة العبث.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، ص 56.

ينعكس هذا النضج في ختام مذكراته، حيث يلخص مأساته المكانية والنفسية بصياغة واعية ومتمردة تؤكد تلاحم المكان بالفكر» :**أواصل السير في زقاق الظلمة بقلق وجودي، لأصل مبتغاي على مَهَل** «.[1]يبرز هنا ارتباط وثيق بين الفضاء المكاني (الزقاق) والحالة الفلسفية (القلق الوجودي). فالمكان القاهر هو الذي يفرض هذا القلق، وهو في الوقت ذاته المحك الذي تُختبر فيه إرادة الذات. إن "ذاكرة الألم" تحول هذا الاختناق الوجودي من نقطة ضعف واستسلام إلى محرك فاعل للبحث عن الحقيقة، ليصبح السير البطيء والمثقل في هذه المتاهة المظلمة دليلاً على صمود الهوية، ورفضها الانصياع لآلة المحو الإمبريالية.

3- المكان بين الذاكرة والهوية

يُعد المكان الحاضنة الفيزيائية التي تتشكل بداخلها الهوية وتترسخ فيها الذاكرة. وفي أدب المحنة، لا يكتفي المستعمر باحتلال الجغرافيا عسكرياً، بل يسعى إلى "محو" الهوية المكانية الأصلية وإحلال هوية استعمارية هجينة. غير أن "ذاكرة الألم" في رواية «غرنوة» تتدخل لإحباط مشروع المحو هذا، محولةً المكان المشوه إلى نقطة ارتكاز لاستعادة الذات وتثبيت الانتماء.

أ- الفضاء المكاني كساحة لصراع الإرادات:إن علاقة الشخصية الجزائرية بالمكان ليست علاقة إقامة سلبية، بل هي حالة اشتباك تاريخي مستمر. يحاول المستعمر فك الارتباط الروحي بين الإنسان وأرضه عبر نشر ثقافة الرعب والتهديد بإفناء الجسد في ذات المكان الذي يأويه. يظهر هذا الصراع جلياً في الممارسات الترهيبية للسفاح أ "أليري"، الذي يحاول فرض هيمنته على المكان وتحويله إلى مقبرة للهوية الجزائرية .ينقل البطل وعيد هذا الأخير.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 186.

(كان واثقا ومصمماعلى اجراء القنبلة الثانية وبدم بارد: قمنا بإجراء تفجيرات على الأرض المركبة .وبنسبة عالية من التلوث الاشعاعي..) .[1]«إن هذا التهديد يرمي الجثث في أزقة المكان هو محاولة كولونيالية بائسة لتحويل الجغرافيا إلى أداة عقاب، غير أن "ذاكرة الألم" تستوعب هذا التهديد لا لترتعد منه، بل لتدرك أن التمسك بالمكان هو المعادل الموضوعي للبقاء والوجود.

ب- من فضاء الألم إلى فضاء المقاومة (دار السباعي أنموذجاً):رغم قتامة المشهد المكاني والتلوث الذي أصاب البيئة الصحراوية جراء الإشعاع، لا يستسلم النص الروائي لمنطق العدم، بل يشهد المكان تحولاً ديناميكياً يثبت حيوية الهوية. تنتقل الرواية من الفضاءات المستلبة والمفتوحة (الصحراء الملوثة) والفضاءات التائهة (زقاق الظلمة) إلى فضاءات مغلقة وحميمية تحتضن الفعل الثوري وتعيد صياغة الوعي الجمعي .يمثل فضاء "دار السباعي" التجسيد الحي لهذا التحول؛ حيث يتحول هذا الحيز المكاني المحدود إلى خلية سرية تنبض بالحياة والتنظيم الدقيق لدعم ثورة التحرير. يوثق السارد هذا الانتقال من التألم السلبي إلى الفعل الهوياتي المقاوم : **يقول السباعي :نحن في صحراء مفتوحة ،لامكان فيها للكمائن مثلما كان يفعل ثوار الفيت ميت في فيتنام لا جبال تحصن بها ولا كهوف تأوينا.....،.**[2]

هنا، يسترد المكان وظيفته الإيجابية العميقة؛ فلم يعد مجرد امتداد جغرافي يتلقى الضربات أو مكباً للنفايات النووية، بل استحال شرياناً سرياً يغذي "جيش التحرير الوطني". إن التئام الشخصيات في هذا الفضاء المغلق يعكس تماسك الهوية الوطنية التي أبت الانكسار. وبهذا، تُثبت الرواية أن "ذاكرة الألم" المرتبطة بالمكان قادرةعلىابتكارمساحات جغرافية واجتماعيةجديدة تقاوم آلة المحو.

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 67.

[2]- المصدر نفسه، ص 20.

الفصل الثالث

تشكل الوعي في الرواية

يُمثل هذا الفصل نقطة التحول المركزية في مسار التحليل النظري والتطبيقي لرواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة». فبعد تفكيك ملامح القهر وفضاءات العبث والاختناق، نتجه الآن لرصد الديناميكية الإيجابية التي أفرزتها تلك المعاناة. إن الألم في نص عبد الله كروم ليس نهاية المطاف، بل هو المخاض العسير الذي تنبثق منه يقظة الذات وتتحول عبره "ذاكرة الألم" من عبء وجداني إلى طاقة تحررية تُعيد بناء كينونة الإنسان وتصوغ موقفه من الوجود والتاريخ.

المبحث الأول: تشكل الوعي الفردي من رحم الألم

لا يولد الوعي في الفضاءات المأزومة كمعطى جاهز أو ترف فكري، بل يتخلق تدريجياً عبر الاحتكاك المباشر مع القسوة. يمر البطل "الحساني" بسلسلة من التحولات العميقة، حيث تعمل صدمة العنف الكولونيالي كـ "مشرط" يمزق غشاوة السذاجة، ويدفع الذات لإعادة مساءلة موقعها في عالم شوهته الإشعاعات وأطماع القوى العظمى.

1- من الضحية إلى الشاهد

تُعد ثنائية (الضحية/الشاهد) من أهم الثنائيات الإبستيمولوجية (المعرفية) في أدب المحنة. فالاستعمار يسعى دائماً لإبقاء المُستعمَر في خانة "الضحية" الصامتة والمُستلبة التي تتلقى الفعل ولا تصنعه. غير أن تطور الوعي الفردي يكسر هذه المعادلة، ناقلاً الذات من حالة الخضوع السلبي إلى فاعلية الشهادة والتوثيق.

أ- وعي الاستلاب (إدراك حالة الضحية):تبدأ أولى درجات الوعي حين تدرك الذات حجم الانتهاك الذي مورس عليها. ففي بداية المسار، يقدم "الحساني" نفسه بوصفه كائناً منتمياً إلى مرجعيات روحية نقية تعكس استقراره الوجداني قبل مجيء المستعمر» :**عشت بنفس واحدة بين راهب يتعبد بأوراد الطريقة الصادقية**

.وروامي يعاقر الخمر حانة اندلسية «.[1]إن وعي البطل بهذه الخلفية الطهرانية هو الذي جعل صدمة اقتلاعه لاحقاً وزجه في الحروب الإمبراطورية صدمة مضاعفة، حيث أدرك باكراً حالة الاستلاب المسلطة على كينونته الفطرية.

ب- تقلد دور الشاهد (الفعل المقاوم):بمرور الوقت، وتراكم مشاهد الخراب في "زقاق الظلمة"، ترفض "ذاكرة الألم" البقاء حبيسة الصمت. يدرك البطل أن صمته هو انتصار إضافي للمستعمر الذي يسعى لطمس جريمة "رقان". هنا يتدخل الوعي ليحول الألم الفردي إلى مسؤولية تاريخية؛ فيقرر البطل الخروج من عباءة الضحية التي تثير الشفقة، ليرتدي ثوب "الشاهد" الذي يثير المساءلة. ينبني هذا التحول بشكل ملموس من خلال البنية التوثيقية للرواية ذاتها، حيث لا يقدم النص بوصفه مجرد سرد تخييلي، بل بوصفه شهادة رسمية ضمن سلسلة **»شاهد وقضية «.**[2]إن وضع مذكرات الحساني تحت هذا العنوان هو إعلان صريح عن اكتمال وعيه الفردي، حيث أصبح صوته أداة تشريح قانونية وتاريخية توثق تفاصيل المأساة وتكسر احتكار المستعمر لكتابة التاريخ.

ج- الوعي الشقي والشهادة القطعية:يبلغ هذا الوعي الفردي ذروته ونضجه التام حين يمتلك الشاهد الشجاعة لتفكيك الأوهام والشعارات الدولية التي تتستر بها القوى الاستعمارية. لم يعد الحساني ذلك الفرد المنبهر بمدن العطور أو المصدق لادعاءات التحضر الغربي. إن وعيه النابع من رحم الألم الإشعاعي يدفعه لإصدار حكم قاطع وصارم في ختام مذكراته، مؤكداً أن ما يروج له العالم من **»السلام، والعدالة، والاستقرار.. حديث خرافة «.**[3]

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، المصدر السابق، ص 8.

[2]- المصدر نفسه ، ص 5.

[3]-المصدر نفسه، ص 186

هذا اليقين ليس تعبيراً عن العدمية، بل هو "وعي شقي" أدرك حقيقة العالم. وبناءً على هذا الوعي، لا يكتفي الشاهد بسرد ما حدث، بل يمارس سلطته الرمزية في إصدار الإدانة التاريخية، موجهاً رسالته الختامية لكل من خطط ونفذ تلك التجارب النووية» :**كل من فكر ودبر في الجريمة: اللعنة عليكم إلى يوم الدين «.**[1]إن هذه اللعنة هي تتويج لمسار الوعي الفردي؛ فمن خلالها، يتحرر البطل نهائياً من عقدة الضعف، ويقف نداً أخلاقياً وتاريخياً لجلاديه، محولاً ألمه إلى وثيقة إدانة أبدية.

2- الألم بوصفه لحظة كشف

في سياق أدب المحنة والذاكرة، لا يُقارب الألم بوصفه مجرد عارض فيزيولوجي ينهك الجسد أو يطفئ الروح، بل يرتقي ليصبح "أداة إبستيمولوجية" (معرفية) بالغة الحدة. إن صدمة الألم تمارس دوراً تفكيكياً؛ فهي تزلزل الرؤية الساذجة للعالم، وتمزق حجب الزيف، لتضع الذات أمام حقيقتها العارية وحقيقة الآخر. وفي رواية «غرنوة»، تمثل "ذاكرة الألم" لحظة الكشف الكبرى التي أسقطت الأقنعة الكولونيالية وأعادت صياغة وعي البطل.

أ- تعرية الزيف الإمبريالي (سقوط قناع التمدن):تتجلى أولى ومضات الكشف حين يدرك البطل المتألم حجم التناقض الصارخ بين الشعارات التي يرفعها المستعمر وبين ممارساته الفعلية على الأرض. لقد سوّق "النادي النووي" لتجاربه في الصحراء تحت غطاء التقدم العلمي والتنوير، لكن الألم الذي كابده سكان "رقان" كشف الوجه الحقيقي والمظلم لهذه الحضارة .يبرز هذا الكشف بوضوح في تأملات "الحساني" العميقة لمآلات الوجود الفرنسي في الصحراء، حيث يكتشف أن فرنسا لم تجلب نور الحضارة، بل جلبت الموت حتى لأبنائها. يتساءل البطل بوعي كاشف عن الجندي الفرنسي» :

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 185.

(كيف يمكنني ان اكون داعية سلام يامشيل ...حتى هو لايعرف ان هذه الدولة التي جاءت به من مدن العطورإلى صحراء ستتلوث بالدخان المسموم؟ .[1]«في لحظة الألم هذه، ينكشف الزيف؛ وتسقط أسطورة "مدن العطور" لتغدو مجرد واجهة تخفي وراءها آلة وحشية تنتج "النفايات الذرية" وتهلك الحرث والنسل.

ب- انهيار السرديات الكبرى (اليقظة الوجودية):يعمل الألم كصدمة إيقاظ تمنع الذات من الركون إلى الأوهام. قبل الكارثة، قد يميل الإنسان إلى تصديق وجود نظام عالمي يحمي الضعفاء، ولكن الانتهاك النووي لزقاق الظلمة ينسف هذه الطمأنينة الزائفة. تصبح "ذاكرة الألم" هنا عدسة مكبرة يرى من خلالها البطل عبثية القوانين الدولية التي تشرعن القتل .يصل الوعي المعرفي إلى أقصى درجات الكشف حين يصل البطل إلى قناعة تامة بسقوط ما يُعرف بـ "السرديات الكبرى" (كحقوق الإنسان والعدالة الكونية). ويعبر عن هذه اليقظة الوجودية الصارمة بحكم قاطع لا لبس فيه، «**ايهما أحق بالتصديق عطر الكلام وداعية السلام ام معجم ديبوسيالمحشو بلغة الموت** .[2]«هذا التصريح ليس انهزاماً، بل هو "كشف" حقيقي لطبيعة العالم الاستعماري؛ فالإنسان الذي يتألم هو وحده القادر على رؤية العالم بلا مساحيق تجميل.

ج- الألم كطاقة مبصرة في "زقاق الظلمة":إن الكشف الذي يمنحه الألم لا يدفع الشخصية نحو العدمية أو الانتحار، بل يزودها بـ "بصيرة" استثنائية لمواصلة طريق المقاومة. فالألم يمنع الوعي من التخدير، ويبقيه في حالة استنفار دائم .هذا الوعي اليقظ هو الذي يفسر إصرار البطل على استكمال مسيرته رغم انعدام الرؤية في المتاهة، حيث يقول» :**أواصل السير في زقاق الظلمة بقلق وجودي،**

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)، 37.

[2]-المصدر نفسه، ص 40

لأصل مبتغاي على مَهَل .[1]«إن الألم هنا تحول إلى "دليل" يوجه خطوات الشخصية؛ فهو يولد "القلق الوجودي" الذي يمنعها من الاستكانة، ويدفعها بخطى وئيدة ومبصرة نحو مبتغاها المتمثل في توثيق الجريمة وفضح الجناة. وهكذا، يغدو الألم لحظة كشف فارقة تحول الذات من كائن أعمى تتقاذفه الأحداث إلى فاعل مبصر يمتلك زمام وعيه وتاريخه.

3- الوعي الوجودي ومواجهة العبث

في ظل الانسداد التاريخي الذي تفرضه الآلة الاستعمارية، لا يقف الوعي الفردي عند حدود الإدراك السلبي للمعاناة أو مجرد كشف الزيف، بل يتطور ليلامس تخوم "الوعي الوجودي" الخالص. إن صدمة التفجيرات النووية في "رقان" لم تدمر المكان والجسد فحسب، بل صدّعت "المعنى"، وأدخلت الذات الجزائرية في مواجهة مباشرة وقاسية مع "العبث .(L'Absurde) "غير أن "ذاكرة الألم" في الرواية لا تستسلم للعدمية، بل تتخذ من هذا العبث منطلقاً لتأسيس موقف مقاوم.

أ- إدراك العبث والتمرد السيزيفي:يتبلور الوعي الوجودي حين تدرك الشخصية غياب أي منطق إنساني أو عقلاني يحكم العالم الكولونيالي. فالفضاء الذي يتحرك فيه البطل هو "متاهة" مغلقة لا تقدم إجابات، بل تضاعف من حيرته. وأمام هذا العبث، لا يختار "الحساني" الانتحار أو الاستسلام، بل يختار "التمرد" من خلال الإصرار على الفعل رغم قتامة المشهد .يعبر البطل عن هذا الموقف السيزيفي (حيث الفعل مستمر رغم غياب النهاية الواضحة) بقوله» :**شكلو ا صفوفكم فلنزحف وليشبع تراب ارضنا من دمائهم القذرة عجلي ايتها الحرية بزئيرك الرجالي.....،.**[2]إن هذا الإصرار على "مواصلة السير" رغم سطوة "اللا أدري" هو جوهر الوعي الوجودي؛ فالذات هنا تعي تماماً عبثية المتاهة المظلمة، لكنها

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)، ص 186.

[2]- المصدر نفسه ، ص54.

ترفض التوقف، محولةً السير في حد ذاته إلى فعل ممانعة يثبت استمرارية الكينونة.

ب- توظيف "القلق الوجودي" كطاقة فاعلة:لا يُطرح "القلق الوجودي" في نص عبد الله كروم بوصفه حالة مرضية تشل حركة الإنسان، بل يُستثمر كطاقة ديناميكية نابعة من صميم "ذاكرة الألم". إن الإنسان الذي اختبر مرارة الانتهاك الإشعاعي يفقد طمأنينته الساذجة إلى الأبد، ليحل محلها قلق دائم يحرسه من التخدير .هذا الوعي الناضج هو ما يختتم به الحساني شهادته، مقرراً تحويل هذا القلق إلى منهج حياة يوصله إلى الحقيقة، حيث يصرّح» :**أواصل السير في زقاق الظلمة بقلق وجودي، لأصل مبتغاي على مَهَل «.**[1]إن الارتباط الوثيق بين "القلق الوجودي" و"الوصول إلى المبتغى" يؤكد أن الألم لم يكسر إرادة البطل، بل زوده ببوصلة داخلية صارمة؛ فالقلق هنا يغدو مرادفاً لليقظة التاريخية التي ترفض الاستعجال وتتسلح بالصبر (على مَهَل) لتفكيك بنية الجريمة الاستعمارية.

ج- رفض المواساة الزائفة والمواجهة المباشرة:يصل الوعي الوجودي إلى أقصى درجات صلابته حين يرفض البطل كل أشكال المواساة أو الحلول الترقيعية التي يطرحها النظام العالمي. إن الذات التي كابدت العبث في أزقة الموت تدرك أن الشعارات البراقة ليست سوى أدوات لتمرير الإبادة وتبريرها . يتأكد هذا الوعي القطعي في نسف البطل لأسس الخطاب الإمبريالي، و يخلص إلى نتيجة مأساوية ولكنها حقيقية، **اه من ظلم المحتل الغاشم،في رأسي تدور معركة كبيرة**[2] «إن تبني هذا الموقف لا يعني الركون إلى اليأس، بل هو قمة الوعي والمواجهة؛ فالبطل هنا يرفض الانخراط في "خرافة" المستعمر، ويختار

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 186.

[2]- المصدر نفسه، ص67.

الوقوف بشجاعة في العراء الوجودي، متسلحاً بذاكرة ألمه التي لا تساوم ولا تنسى.

المبحث الثاني: الوعي الجمعي ومحاكمة التاريخ

إذا كان الوعي الفردي يمثل الشرارة الأولى التي تنقدح في ذهن الضحية إثر الصدمة، فإن "الوعي الجمعي" يمثل الامتداد الطبيعي والنضالي لهذا الوعي، حيث تتحول المكابدة الفردية إلى قضية أمة بأكملها. في هذا المبحث، تنهض "ذاكرة الألم" بوظيفتها الكبرى: سحب حق محاكمة التاريخ من أيدي الجلادين المنتصرين، ومنحه للضحايا الذين يتسلحون بالذاكرة كأداة لرفض النسيان والمحو.

1- الذاكرة الجماعية ومقاومة النسيان

تُعد الذاكرة في السياق الاستعماري ساحة حرب حقيقية لا تقل ضراوة عن ساحات القتال العسكري. فالاستعمار الفرنسي، بعد أن نفذ جريمته النووية في الصحراء الجزائرية، راهن على "النسيان" كاستراتيجية لطمس معالم الإبادة وإسكات صوت الضحايا. غير أن وعي الجماعة المقهورة يتدخل لإحباط هذا المشروع، متخذاً من "ذاكرة الألم" حصناً إبستيمولوجياً (معرفياً) يحرس الحقيقة من الزوال.

أ- إبقاء الجرح مفتوحاً كاستراتيجية ممانعة: لا تتشكل الذاكرة الجماعية في رواية «غرنوة» كأرشيف جامد للبكاء على الماضي، بل كآلية ممانعة حية ترفض التقادم. يتجلى هذا الوعي بضرورة تخليد الألم من خلال رصد الأثر الإشعاعي المستمر الذي يتجاوز الزمن الفردي ليستوطن في أعمق البنى الحيوية للجماعة.

(ستظل لعنة تلاحق ظالميها من أقربائها في توات ،ومن اباعدها ...)[1]«.إن هذا الامتداد الوراثي للكارثة يجعل من تذكر الألم واجباً وجودياً لحماية الهوية من المحو.

ب- التكافل النضالي بوصفه ذاكرة حية:تتجاوز مقاومة النسيان في النص مستواها النظري لتتحول إلى ممارسة نضالية تؤكد حيوية الوعي الجمعي. إن الشعور المشترك بفداحة الخطب لا يؤدي إلى الاستسلام، بل يولد حالة من التلاحم العضوي بين شخصيات الرواية، محولاً إياهم من أفراد معزولين إلى "كتلة تاريخية" فاعلة .يتجسد هذا التلاحم في الفضاءات السرية كـ "دار السباعي"، حيث تنصهر الذوات في بوتقة المقاومة وتتقاسم الأدوار لخدمة الثورة التحريرية :**نوزع مادة ونحفر انفاقا داخل الفقارات للوصول الى المستعمر...** «".[2]إن هذا المشهد ليس مجرد سرد لحدث عابر، بل هو تجلٍ مادي لـ "ذاكرة الألم" التي تحولت من أنين صامت إلى فعل مقاومة جمعي يرفض الخضوع لمحاولات الإبادة.

ج- الشهادة كمنصة لمحاكمة الجلاد:تكتمل حلقة مقاومة النسيان حين يتحول السرد الروائي نفسه إلى محكمة تاريخية. إن الوعي الجمعي يدرك أن الأرشيف الرسمي الكولونيالي سيحاول دائماً تبرير الجريمة، لذا يعمد إلى تأسيس "أرشيف مضاد" من خلال الشهادة .يبرز هذا الوعي التوثيقي في تأطير مذكرات الحساني ضمن سلسلة »**شاهد وقضية** «.[3]إن هذا القالب يضع القارئ في موقع "هيئة المحلفين"، ويحول النص إلى مرافعة قانونية وأخلاقية. وتصل هذه المحاكمة إلى ذروتها في الحكم النهائي الذي تصدره الذاكرة الجماعية على ألسنة أبطالها، حيث

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، المصدر السابق، الغلاف الخلفي للرواية ، ص163 .

[2]- المصدر نفسه، ص 20.

[3]- المصدر نفسه، ص 5.

لا تكتفي بذكر الحدث، بل توجه إدانة أبدية لكل المتورطين في تدمير الصحراء الجزائرية» :**كل من فكر ودبر في الجريمة: اللعنة عليكم إلى يوم الدين «.**[1]إن هذه الصرخة الختامية هي إعلان صريح لانتصار الذاكرة على النسيان، وتأكيد على أن محكمة التاريخ لا يمكن أن تُغلق ما دامت "ذاكرة الألم" يقظة.

2- الرواية كسردية مضادة للاستعمار

في ضوء النقد ما بعد الكولونيالي، لا يُنظر إلى الأدب الذي تنتجه الشعوب المستعمَرة بوصفه مجرد انعكاس فني للواقع، بل بوصفه "رداً بالكتابة (Writing " (Backوأداة لتفكيك الهيمنة. لقد احتكر المستعمر الفرنسي طويلاً كتابة التاريخ، محاولاً تبرير جرائمه النووية في الصحراء الجزائرية تحت غطاء "التقدم العلمي" وحماية "العالم الحر". وهنا، تتدخل رواية «غرنوة» لتكسر هذا الاحتكار، وتؤسس لـ "سردية مضادة (Counter-Narrative) "تنطلق من "ذاكرة الألم" لتعرية الخطاب الإمبراطوري ومحاكمته.

أ- تفكيك الخطاب الحضاري الكولونيالي:تقوم السردية المضادة على قلب المفاهيم التي رسخها المستعمر وإظهار تناقضاتها الفجة. لقد سوّقت فرنسا لنفسها بوصفها مركزاً للتنوير والحضارة، غير أن الرواية تفكك هذا الادعاء عبر تصوير نتائج هذه "الحضارة" المزعومة على الطبيعة والإنسان. يتجلى هذا التفكيك في وصف الخراب الشامل الذي أحدثته التفجيرات» :**تلك السحابة السوداء التي تصاعدت ،وانتشرت في الاجواء** .[2]«فالرواية هنا تؤكد أن الحضارة التي تنتج الإشعاع والموت البطيء، وتُبيد الواحات، ليست سوى همجية مقنعة تسحب الشرعية الأخلاقية من الجلاد.

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 185.

[2]- المصدر نفسه ، ص 56..

ب- استرداد الصوت المهمش (سلطة الشهادة):تعتمد السردية الاستعمارية على تغييب صوت الضحية واعتبارها مجرد "موضوع" للتجارب، لا "ذاتاً" تمتلك حق التعبير. ولإنتاج سردية مضادة، كان لزاماً على النص الروائي أن يعيد الكلمة لمن سُلبت منه .يتحقق هذا الاسترداد من خلال البناء الفني للرواية الذي اختار قالب "الشهادة" والمذكرات ضمن إطار إعلامي «**شاهد وقضية** .[1]«إن تصدر "الحساني" (الضحية الصحراوية المقهورة) لدفة السرد، يمثل تحدياً إبستيمولوجياً للمركزية الغربية. لم يعد المستعمر هو من يروي القصة ويحدد الخسائر ويبرر التفجيرات، بل أصبحت الضحية هي المرجعية التاريخية التي توثق الحدث من زاوية "ذاكرة الألم"، مما يحول النص من مجرد حكاية إلى وثيقة مضادة تتحدى الأرشيف الرسمي الفرنسي.

ج- رفض المركزية ونسف أسطورة "السلام" الإمبريالي:تكتمل وظيفة الرواية كسردية مضادة حين تعلن قطيعتها المعرفية مع المنظومة القيمية التي يفرضها النظام العالمي المتواطئ. إن المستعمر الذي دمر الصحراء هو ذاته الذي يتحدث في المحافل الدولية عن السلم والعدالة، غير أن الوعي الجمعي المنبثق من المأساة يرفض الانخراط في هذا النفاق السياسي .تتجلى هذه القطيعة في الحكم الحاسم الذي يطلقه الحساني في نهاية مذكراته، ناسفاً كل الادعاءات التي يختبئ خلفها "النادي النووي"، حيث يصرح بوعي ثاقب» :**لقد أكدنا عزمنا لإنقاض البشرية من ازمتها من خلال الدروس المستفادة من تجاربنا«وفي نفس الوقت انقاذ أنفسنا.**[2]؛ فالرواية ترفض تصديق سردية الجلاد، وتؤسس لوعي مقاوم يدرك أن العدالة الحقيقية لا تُستجدى من القتلة، بل تُنتزع عبر الحفاظ على "ذاكرة الألم" وإبقائها شوكة في حلق التاريخ المزور.

---

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 5.

[2]- المصدر نفسه ص 3.

3- الجماعة بوصفها وعيًا مقاومًا

لا يقتصر فعل المقاومة في رواية «غرنوة» على الرفض الفردي أو الإدانة اللفظية التي يمارسها البطل في مذكراته، بل يتبلور في شكل "وعي جمعي" منظم وحيوي. إن فداحة الجريمة الكولونيالية التي استهدفت الكيان الصحراوي لم تؤدِ إلى تفكك البنية الاجتماعية أو بث اليأس في أوصالها، بل عملت "ذاكرة الألم" كعامل محفز أعاد تشكيل الجماعة، محولاً إياها من مجرد "ضحية جماعية" مقهورة إلى "كتلة وعي" مقاومة تصنع تاريخها وتتحدى زقاق الظلمة بيديها.

أ- من تقاسم الألم إلى تنظيم الفعل النضالي: تُدرك الجماعة المستعمَرة أن الألم الفردي، مهما بلغ عمقه، يظل قاصراً عن إحداث تغيير جذري ما لم ينصهر في بوتقة الفعل المشترك. تتجاوز الشخصيات في الرواية حالة الرثاء الذاتي أو التيه الوجودي السلبي، لتؤسس نسقاً نضالياً متكاملاً. إن الجرح الذي خلفته الإشعاعات النووية والسياسات التعسفية لم يدفع الشخصيات للانعزال، بل دفعها للتخندق في جبهة واحدة .يبرز هذا الوعي المقاوم جلياً في تحول الفضاء المغلق (دار السباعي) إلى مركز إشعاع ثوري، حيث تُرصّ الصفوف وتُوزع المهام بدقة تعكس نضجاً سياسياً واجتماعياً عالياً. يسرد البطل تفاصيل هذا الانتقال من الانفعال إلى الفعل المنظم قائلاً» :**هذا البارود المنتشر بيننا لن أرقصه بعد اليوم.البارود ليس للرقص في بلد محتل،يعزم المحتلون على تسميم أرضنا على قتلنا.....«"**[1]

ب- التضامن كآلية لإحباط المحو الكولونيالي: راهنت الإدارة الاستعمارية على سياسة الترويع والتجويع، وعلى تدمير البنى التحتية والإيكولوجية للمجتمع الصحراوي (عبر التفجيرات النووية) لإخضاعه وكسر إرادته. غير أن الجماعة،

[1]- يُنظر: المصدر نفسه، ص 20. (إحالة إلى لعن الجماعة المدونة بلسان البطل لكل من دبر الجريمة إلى يوم الدين).

متسلحة بـ "ذاكرة الألم"، ابتكرت آليات بديلة للصمود. إن قيام خلية الدعم بجمع التمر، والحبوب، والأموال، يمثل في جوهره تحدياً مباشراً لسياسات الإفقار الفرنسية .إن الوعي الجمعي هنا لا يقاوم الاستعمار بالسلاح المباشر فحسب، بل يقاومه بـ "التضامن العضوي .(Solidarité organique) "فحين يتعاضد الأفراد لدعم جيش التحرير الوطني، فإنهم يثبتون أن الهوية الجزائرية عصية على التذويب، وأن إشعاعات رقان قد نجحت في تسميم المكان، لكنها فشلت في اختراق الوعي الجمعي المتماسك.

ج- "ذاكرة الألم" كدرع للمصير المشترك:يمثل انصهار "الحساني" (العائد من جحيم التجنيد القسري والمشبع بالقلق الوجودي) مع بقية أفراد الجماعة (السباعي، بازا، الغيواني) انتصاراً نهائياً للوعي المقاوم. لم تسمح الجماعة للمتاهة أن تبتلع أبناءها فرادى، بل شكلت درعاً حامياً يستوعب آلامهم ويوجهها نحو هدف التحرر .إن الجماعة في هذا السياق لم تعد مجرد كيان سلبي ينتظر شفقة العالم أو يصدق الخرافة الإمبريالية حول السلام " **أغنية السلام شرخت ،وسنفونية النقاءاختل ميزان الايقاع بها.**[1]أضحت "ذاتاً تاريخية (Sujet historique) " تُدرك أن خلاصها يكمن في وحدتها، وفي إبقائها على جمرة الذاكرة متقدة لتُنير بها عتمة الزقاق، ولتُحاكم بها جلاديها جيلاً بعد جيل .

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 13.

المبحث الثالث: الرمز ودوره في بناء الوعي

لا يكتفي الخطاب الروائي في مقاربته للمآسي الكبرى باللغة التقريرية المباشرة، بل يعمد إلى توظيف "الرمــز(le Symbole) "كأداة جمالية ومعرفية تمنح النص كثافة دلالية وتوسع من آفاق التأويل. وفي رواية تخوض في جراح الاستعمار والتشويه النووي، يتحول الرمز إلى "ملاذ إبستيمولوجي"؛ فهو يحمل ما تعجز الكلمات العادية عن احتماله، ويساهم في بناء وعي مرن قادر على اختراق الجدران الكولونيالية التي تسعى لخنق الحقيقة.

1- طائر «غرنوة» ورمز الانعتاق

لم يكن اختيار عبد الله كروم لـ "غرنوة" كعنوان رئيسي لروايته مجرد مصادفة لغوية، بل هو تأسيس لنسق رمزي مركزي يتقاطع مع البنية الوجودية للنص. يمثل الطائر في المخيال الإنساني والأدبي الانعتاق المطلق، والقدرة على تجاوز الحدود المادية. وفي ظل واقع مشبع بالإشعاع والقهر، يبرز طائر «غرنوة» كضرورة سردية لإنقاذ الذات من السقوط في العدم.

أ- ثنائية الاختناق والانعتاق (الزقاق مقابل الفضاء):تتأسس رمزية «غرنوة» على مفارقة ضدية حادة تحكم فضاء الرواية: مفارقة بين "زقاق الظلمة" الذي يرمز للاختناق، والأسر، والانسداد التاريخي الذي فرضه الاستعمار، وبين "الطائر" الذي يرمز للانفتاح، والتحليق، ورفض الخضوع للمحددات الأرضية .

إن المستعمر الفرنسي يمتلك القدرة على محاصرة البطل "الحساني" في أزقة المتاهة، ويمتلك التكنولوجيا لتلويث رمال الصحراء وإفناء الجسد، لكنه يقف عاجزاً أمام "الفضاء الرمزي" الذي يحلق فيه الطائر. يعكس استدعاء الطائر وعياً عميقاً لدى الضحية بأن الجسد قد يُقهر، لكن "الروح" تمتلك أجنحتها الخاصة للانعتاق من قبضة الجلاد.

ب- «غرنوة» بوصفه رسولاً لـ "ذاكرة الألم:"لا يظهر الطائر في النص ككائن زينة عبثي، بل ينهض بوظيفة "رسول الذاكرة" الذي يكسر عزلة الصحراء المكلومة. عندما يصل البطل إلى قمة وعيه الشقي وإدراكه لعبثية النظام العالمي واستحالة تحقيق العدالة الأرضية، فإنه لا يترك مذكراته وشهادته حبيسة الرمال الملوثة، بل يُحملها للطير ليبلغها للعالم .يتجلى هذا الاستثمار الرمزي العميق في ختام مذكرات الشاهد، حيث تتجه الذات نحو الفضاء المفتوح لتعلن إدانتها» :**حيث يوجه رسالته عبر طائري "غرنوة" وسؤال لك ياغرنوة :(حمام السلام بين مطلع الشمس ومغربهاماء ام سراب) نظر الي ،وفجأة استدار،ثم طار** .[1]«إن تحميل رسالة "اللعنة" التاريخية لطائري غرنوة والورقاء (والورقاء ترمز تقليدياً للسلام والبريد) إ'نه توظيف مذهل للرمز؛ فالطائر هنا هو "الأرشيف الطائر" الذي يحمل "ذاكرة الألم" ليعبر بها القارات، مؤكداً أن الجريمة النووية لن تبقى مدفونة في رقان، بل ستُحلق فوق رؤوس الجناة كشاهد إثبات لا ينام.

ج- الانتصار المعنوي وتأكيد الكينونة:يمثل رمز طائر «غرنوة» تتويجاً لمسار الوعي المقاوم. فبعد سلسلة طويلة من الانكسارات، والتجنيد القسري، وسلب الإرادة، تأتي لحظة الانعتاق الرمزي لتعيد التوازن للذات الجزائرية .إن لجوء الروائي إلى الطائر لتبليغ الرسالة يعبر عن "انتصار معنوي" ساحق على الآلة العسكرية الكولونيالية. ففرنسا التي دخلت "النادي النووي" بكل جبروتها، تُدان في النهاية عبر رسالة يحملها كائن حر لا يعترف بحدودها الجغرافية أو السياسية. وبذلك، يسهم رمز «غرنوة» في بناء وعي إيجابي يدرك أن الحرية الحقيقية تبدأ من التحرر الداخلي، وأن الانعتاق لا يُمنح من قبل الجلاد، بل يُنتزع حين ترفض "ذاكرة الألم" أن تُسجن في المتاهة، وتختار التحليق لتفضح خرافة العالم المتحضر.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، ، ص 185.

2- جدلية الأرض والتحليق

ينبني التشكيل الرمزي في رواية «غرنوة» على مفارقة درامية حادة، تتجلى في "الجدلية (La Dialectique) "القائمة بين "الأرض" المثقلة بالدمار والانكسارات، وبين "التحليق" بوصفه توقاً أنطولوجياً (وجودياً) للانعتاق. إن هذه الجدلية ليست مجرد زخرفة بلاغية، بل هي انعكاس مباشر لحالة الصراع بين آلة المحو الكولونيالية التي تسعى لتثبيت الضحية في القاع، وبين "ذاكرة الألم" التي تدفع الوعي نحو التسامي والتمرد.

أ- الأرض بوصفها فضاءً للتدنيس وثقل الألم:في الشق الأول من هذه الجدلية، تمثل "الأرض" (الصحراء، رقان، زقاق الظلمة) الحيز المادي الذي خضع لتدنيس المستعمر. لقد صادر الاستعمار الفرنسي طهرانية الأرض وحولها إلى مسرح للتجارب النووية، مما جعلها المعادل الموضوعي لـ "ثقل المعاناة ."يبرز هذا الارتباط العضوي بين الأرض والألم في سيرورة البطل "الحساني" المتعبة؛ فالأرض هنا لا تمنح الاستقرار، بل تفرض التيه. يتجسد هذا الثقل الأرضي في مكابدته المستمرة للمتاهة» :**ما زلت في زقاق الظلمة أسير، ثم أسير، أما آن لهذه الظلمة أن تنتهي؟ لست أدري، ولكنني أواصل السير**[1] **«..**

إن الارتباط بالأرض في هذا السياق هو ارتباط كابوسي بـ **"الدخان المسموم"الذي يفني الاجساد/ والنفايات الذرية**[2]، حيث الجسد مقيد بجاذبية القهر، والخطوات مثقلة بندوب التجنيد القسري والعنف التاريخي.

ب- التحليق كفعل مقاومة وكسر للحدود الكولونيالية:في مقابل جاذبية القهر الأرضي، يبرز "التحليق" (الذي يجسده طائرا غرنوة والورقاء) كقوة مضادة

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 14.

[2]- المصدر نفسه، ص 37 .

تسعى لخلخلة الهيمنة الاستعمارية. إن المستعمر قد يمتلك القدرة على احتلال الأرض وتسميم الفضاء الجغرافي، لكنه لا يمتلك سلطة على الفضاء الرمزي الذي تتحرك فيه الروح .يمثل التحليق في الرواية فعل "تجاوز (Transcendance) " لحدود المكان المأزوم؛ فالطائر الذي يشق عنان السماء هو تجسيد لانتصار الفكرة على المادة، ولانتصار الحقيقة على محاولات الطمس. إن وعي الشخصية يدرك أن الخلاص الجسدي على هذه الأرض الملوثة قد يكون مستحيلاً، فيلجأ إلى "التحليق الرمزي" كأداة لتهريب "ذاكرة الألم" من سجنها الأرضي، مانحاً الذات سيادة بديلة لا تطالها بنادق الجلاد.

ج- انصهار الجدلية في بناء الوعي التوثيقي:لا تنتهي هذه الجدلية بانفصال تام بين الأرض والتحليق، بل تنصهر لإنتاج "وعي توثيقي" متكامل. فالأرض المكلومة هي التي تمنح للتحليق مشروعيته ومحتواه؛ إذ لا يحلق الطائر هرباً من المواجهة، بل يحلق حاملاً معه صرخة الأرض .تصل هذه الجدلية إلى ذروتها التكاملية في المشهد الختامي، حيث يقف البطل بقدمين ثابتتين على أرض المعاناة، لكنه يرسل وعيه محلقاً إلى أقصى بقاع الأرض لإدانة المركزية الغربية. يقول السارد» :**لحظات من الدهشة والتأمل عشتها، لست ادري كيف ذكرت غرنوة رددت في خاطري : (يطير لحمام وين يطير ويرجع لوكره)**.[1]«هنا، تنجح "ذاكرة الألم" في استثمار ثنائية (الأرض/التحليق) لبناء موقف إبستيمولوجي صارم؛ فالأرض توثق الجريمة بأجساد الضحايا ورمالها الملوثة، والتحليق يتكفل بنشر هذه الوثيقة وتعميم اللعنة. وبذلك، يؤكد الروائي أن الوعي المقاوم لا يكتمل إلا حين تستوعب الذات مأساتها الأرضية، وتُطلق إرادتها محلقة لتُحاكم التاريخ.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 181.

3- الرمز وتوحيد الوعي الجماعي

لا تقتصر فاعلية الرمز في الرواية على التنفيس النفسي أو التعبير الجمالي عن مأساة الفرد، بل تتعدى ذلك لتؤدي وظيفة "سوسيولوجية" وتاريخية بالغة الأهمية؛ وهي توحيد الوعي الجماعي. في ظل التشتت الجغرافي والتمزق النفسي الذي أحدثته التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء، ينهض الرمز بوصفه "بؤرة استقطاب" تتجمع حولها شظايا الهوية الجزائرية، محولاً "ذاكرة الألم" المتناثرة إلى سردية مقاومة مشتركة توحد الضحايا.

أ- الرمز كوعاء لذاكرة الألم المشتركة:إن العنف الكولونيالي الإشعاعي، بطبيعته الشمولية، لم يستثنِ أحداً؛ فقد استهدف الإنسان والبيئة والنسل. وأمام فداحة هذا الحدث الذي تعجز اللغة التقريرية عن الإحاطة به، يتدخل الرمز (طائر غرنوة) ليصبح الوعاء الآمن الذي تُحفظ فيه هذه الذاكرة المجروحة .فالطائر الذي يحمل رسالة البطل في نهاية المطاف، لا يحمل معاناة "الحساني" بمفرده، بل يحمل صرخة جماعية تمتد عبر الزمن. يتأكد هذا البعد الجمعي للوعي من خلال استحضار عتبة الإهداء التي وجهها الكاتب صراحة» :**إلى ضحايا مأساة الجرائم النووية الفرنسية برقان، السابقين، والحاليين، وإلى يوم الدين** .[1]«إن الرمز هنا يخترق الحواجز الزمنية، ليربط بين الضحايا السابقين والأجيال اللاحقة، جاعلاً من الطائر ممثلاً شرعياً لوعي جمعي يرفض التقادم والموت الصامت.

ب- من التشتت الكولونيالي إلى التماسك الرمزي:سعى الاستعمار من خلال سياسات القهر والتجنيد القسري والتدمير البيئي إلى تفتيت البنية الاجتماعية للجزائريين، وإغراقهم في "زقاق ظلمة" يفقدون فيه بوصلة الانتماء. غير أن الرمز يعمل كآلية مضادة تعيد خياطة النسيج الممزق .إن توحيد الوعي يتجلى في

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 2.

التئام الشخصيات حول هدف واحد وتشاركهم نفس القناعات الوجودية. فحين ينسف البطل خرافة العالم المتحضر مؤكداً أن «**السلام، والعدالة، والاستقرار..** [1]، إنه ينطق بلسان الجماعة بأسرها (السباعي، بازا، الغيواني، وغيرهم). لقد وحد الرمز (المتمثل في المتاهة الأرضية والانعتاق السماوي) رؤية هذه الجماعة للعالم، فأسقطت أوهام الخلاص الفردي، وأدركت أن النجاة تكمن في صياغة موقف موحد يرفض التصالح مع السردية الإمبريالية.

ج- اللعنة الرمزية كحكم جمعي قطعي:يبلغ توحيد الوعي الجماعي عبر الرمز ذروته التاريخية في مشهد إرسال الطيور بالرسالة الختامية. إن الجماعة التي سُلبت منها المحاكم الدولية وحقها في القصاص العادل، تؤسس "محكمتها الرمزية" الخاصة .يتحول الطائر هنا إلى "مُحضر قضائي" كوني يبلغ حكم الجماعة النابع من عمق ذاكرة ألمها» :**حيث يوجه رسالته عبر طائري "غرنوة" والورقاء إلى كل من فكر ودبر في الجريمة: اللعنة عليكم إلى يوم الدين «.**[2]إن استخدام صيغة الجمع في توجيه اللعنة لكل من دبر الجريمة، يؤكد أن الوعي الجماعي قد اكتمل نضجه؛ فلم يعد يواجه جلاداً فرداً، بل يحاكم منظومة استعمارية كاملة. وبهذا، ينجح الرمز في تحويل الجماعة من وضعية "المفعول به" الذي يتلقى الإشعاع، إلى "الفاعل التاريخي" الذي يمتلك سلطة الإدانة، ويوحد صفوفه خلف ذاكرة حية ترفض النسيان.

[1]- عبد الله كروم، **غرنوة: متاهة زقاق الظلمة**، سلسلة كتب (شاهد وقضية)،ص 186.

[2]- المصدر نفسه، ص 185.

المبحث الرابع: الرمز في بناء الوعي طائر «غرنوة» دليلًا للانعتاق(دراسة فلسفية للرمز في الرواية)

إذا كان الألم يمثّل المادة الخام للتجربة الروائية في نص «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة»، وإذا كان الوعي الفردي والجماعي هو الحصيلة المعرفية لهذه التجربة، فإن **الرمز** يشكّل الذروة الجمالية التي تتكثف فيها كل هذه الأبعاد داخل بنية دلالية عميقة.

من هنا، يصبح الرمز أداة سيميائية مركزية، تُعيد صياغة الواقع في صورة مكثفة، وتفتح أفق التأويل أمام القارئ، بما يسمح بتجاوز حدود اللغة العادية نحو لغة إيحائية قادرة على احتضان التناقضات الكبرى. وفي هذا السياق، يبرز طائر «غرنوة» بوصفه رمزًا محوريًا، لا يختزل فقط تجربة الألم، بل يحوّلها إلى إمكانية للانعتاق والوعي.

1 . رمزية طائر «غرنوة»: تكثيف الدلالة وتجاوز الواقع المأساوي

يُعدّ طائر «غرنوة» أحد أهم البنى الرمزية التي يقوم عليها النسيج الدلالي في رواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة»، إذ لا يقتصر حضوره على كونه عنصرًا طبيعيًا ضمن المشهد الصحراوي، بل يتحول إلى مركز إشعاع دلالي تتقاطع عنده مختلف مستويات المعنى في النص. فالرواية، وهي تواجه حدثًا تاريخيًا بالغ القسوة كالتفجيرات النووية، لا تكتفي بالوصف المباشر، بل تلجأ إلى الرمز بوصفه أداة جمالية ومعرفية قادرة على احتواء ما يعجز عنه الخطاب التقريري.

أ. الرمز كتكثيف دلالي: من العلامة إلى البنية العميقة

ينتمي طائر «غرنوة» إلى ما يمكن تسميته بـ"الرمز الكثيف"، أي ذلك الرمز الذي لا يحيل إلى معنى واحد، بل يفتح شبكة من الدلالات المتداخلة. فوفقًا للتصور الأنثروبولوجي للرمز عند جيلبير دوران، فإن الرمز ليس مجرد إحالة

مباشرة، بل هو "بنية تخييلية" خبرات إنسانية عميقة، وتسمح بتجسيد ما هو غير قابل للقول المباشر[1].

في هذا السياق، يتحول «غرنوة» إلى وسيط دلالي يربط بين مستويات متعددة:

- المستوى الطبيعي (طائر صحراوي متأقلم)
- المستوى الثقافي (رمز السلام والطهارة)
- المستوى الوجودي (إمكانية الاستمرار رغم الفناء)
- المستوى التاريخي (شاهد على الكارثة النووية)

إن هذا التعدد في الإحالات يمنح الرمز طاقة إيحائية عالية، حيث يصبح قادرًا على اختزال التجربة الروائية بأكملها في صورة واحدة.

ب. المفارقة الرمزية: طائر السلام في فضاء الموت

تكمن قوة الرمز في الرواية في المفارقة التي يقوم عليها :**طائر يحيل إلى السلام يحلّق فوق فضاء ملوث بالموت** .فالحمام، في المخيال الإنساني، يرتبط بالسكينة، والنقاء، والانسجام، غير أن هذا الرمز يُعاد توظيفه داخل سياق مأساوي، مما يولد صدمة دلالية قوية.

ويمكن فهم هذه المفارقة في ضوء ما يسميه رولان بارت بـ"انزياح المعنى"، حيث يتم تفكيك العلاقة التقليدية بين الدال والمدلول، ليُنتج الرمز دلالة جديدة تقوم على التوتر[2]. فوجود «غرنوة» في فضاء إشعاعي لا يلغي دلالته الأصلية، بل يعمّقها، لأنه يكشف عن حجم الانتهاك الذي طال حتى الرموز الطبيعية للسلام.

[1] - دوران، جيلبير، البنى الأنثروبولوجية للمتخيل، ترجمة: محمد سبيلا، دار توبقال
[2] - بارت، رولان، درجة الصفر في الكتابة، ترجمة: محمد برادة، دار توبقال

إن هذا التوتر يجعل القارئ في حالة وعي دائم، حيث يُدرك أن الكارثة لم تدمّر الإنسان فقط، بل شوّهت نظام المعنى ذاته.

ج. الرمز بوصفه استعارة للصمود الوجودي

يتجاوز طائر «غرنوة» بعده السيميائي ليغدو استعارة كبرى للذات الجزائرية الصحراوية. فهو كائن هش ظاهريًا، لكنه يمتلك قدرة استثنائية على التكيف مع بيئة قاسية، ويستمر في التحليق رغم كل الظروف.

وهذا ما يجعل منه تجسيدًا رمزيًا للإنسان الذي يعيش تحت وطأة العنف النووي، لكنه يرفض الانهيار. فكما يواصل الطائر التحليق في سماء ملوثة، تواصل الشخصيات البحث عن معنى في عالم فقد توازنه.

إن هذا البعد يمكن ربطه بما يطرحه فريدريك نيتشه حول "إرادة القوة"، حيث لا يُقاس الإنسان بمدى غياب الألم في حياته، بل بقدرته على تحويل المعاناة إلى طاقة إيجابية[1]. فـي«غرنوة» لا ينكر واقع الموت، لكنه لا يستسلم له، بل يتجاوزه عبر الاستمرار.

د. الرمز كتجاوز للواقع: من التمثيل إلى الإمكان

لا يكتفي الرمز في الرواية بعكس الواقع، بل يسعى إلى تجاوزه. فطائر «غرنوة» لا يمثل فقط ما هو كائن، بل يفتح أفقًا لما يمكن أن يكون. وهنا، يتحول الرمز من أداة تمثيل إلى أداة **إمكان**.

ففي لحظات الانسداد الكامل، يصبح ظهور الطائر بمثابة إشارة إلى أن الواقع، رغم قسوته، ليس مغلقًا تمامًا. إن وجوده يخلق شقًا في جدار العدم، يسمح بتسلل الأمل، ولو بشكل هش.

[1] - نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، دار التنوير

ويمكن قراءة هذا البعد في ضوء فلسفة بول ريكور، الذي يرى أن الرمز "يفتح الفكر على ما يتجاوزه"، أي أنه لا يكتفي بإعادة إنتاج الواقع، بل يوسّع أفق الإدراك[1].

هـ. الرمز كوسيط بين المرئي واللامرئي

يؤدي طائر «غرنوة» أيضًا وظيفة الوساطة بين عالمين:

- عالم مرئي: يتمثل في الخراب، المرض، الإشعاع
- عالم لامرئي: يتمثل في الأمل، المعنى، الروح

فالطائر، بحركته بين الأرض والسماء، يجسد هذا العبور بين المستويين، مما يمنحه بعدًا شبه ميتافيزيقي. إنه ليس فقط كائنًا بيولوجيًا، بل "علامة انتقال" تربط بين الواقع المادي وأفقه الروحي.

و. الرمز كذاكرة حيّة للكارثة

إلى جانب دلالاته الوجودية، يحمل «غرنوة» بعدًا تذكاريًا، حيث يصبح شاهدًا على الكارثة. فهو يحلّق فوق أرض ملوثة، ويستمر في الوجود، مما يجعله حاملًا لذاكرة غير مكتوبة.

إن هذا الحضور المستمر يحول الرمز إلى شكل من أشكال "الذاكرة الحية"، التي تقاوم النسيان، وتعيد تذكير القارئ بحجم المأساة.

خلاصة تحليلية

إن طائر «غرنوة» يمثل نموذجًا للرمز المركّب الذي يجمع بين الوظيفة الجمالية والمعرفية، حيث ينجح في:

[1] - ريكور، بول، فلسفة الإرادة، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد

- تكثيف التجربة الروائية داخل صورة واحدة
- خلق مفارقة دلالية تعمّق الوعي بالمأساة
- تجسيد الصمود الإنساني في وجه الفناء
- فتح أفق للمعنى داخل واقع مأزوم

2 . الرمز بين الأمل والانعتاق: جدلية الأرض والتحليق

تُشيّد رواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة» بنيتها الرمزية على توتر دلالي عميق بين قطبين متقابلين : **الأرض** بوصفها مجال الثقل، الألم، والتاريخ الجريح، و**التحليق** بوصفه أفقًا للحرية، والوعي، والانعتاق. ولا يُقدَّم هذا التقابل في صورة ثنائية جامدة، بل في شكل جدلية دينامية تتفاعل داخلها قوى الجذب والانفلات، بحيث يصبح الرمز (طائر «غرنوة») وسيطًا يعبر بين المستويين، ويعيد تشكيل العلاقة بينهما .

أ. الأرض بوصفها ثقلًا وجوديًا: الجسد، الألم، والتاريخ

تحيل الأرض في الرواية إلى أكثر من مجرد فضاء جغرافي؛ إنها تمثل **حمولة وجودية كثيفة** تختزن داخلها آثار الكارثة النووية، وتكثّف تجربة الألم الجماعي. فالأرض هنا مشبعة بالإشعاع، مثقلة بالذاكرة، ومشبعة بحضور الموت الكامن، مما يجعلها فضاءً طاردًا بدل أن تكون حاضنًا .

إن ارتباط الشخصيات بالأرض لا يتم في إطار الطمأنينة، بل في إطار القسر؛ فهي لا تستطيع مغادرتها، لكنها في الوقت ذاته لا تستطيع التماهي معها كما في السابق. وهنا، تتحول الأرض إلى ما يشبه "الجاذبية الوجودية" التي تشد الكائن نحو الأسفل، وتثقل حركته، وتربطه بتاريخ من المعاناة .

ويمكن قراءة هذا الثقل في ضوء التصور الوجودي عند مارتن هايدغر، الذي يرى أن الإنسان "ملقى" في عالم لم يختره، ومثقل بشروط وجوده[1]. ففي الرواية تُجسّد الأرض هذا الإلقاء، حيث يجد الإنسان نفسه مرتبطًا بمكان ملوث، لا يملك حياله خيارًا حقيقيًا.

كما أن هذا الثقل لا يقتصر على البعد الفيزيائي، بل يمتد إلى البعد النفسي، حيث يتحول الألم الجسدي (الأمراض، التشوهات) إلى عبء دائم، يجعل الوجود نفسه تجربة مرهقة. وهكذا، تصبح الأرض مرادفًا للحدود، للقيود، وللثبات القسري داخل مأساة مفتوحة.

ب. التحليق كأفق للانعتاق: الرمز بوصفه تجاوزًا

في مقابل هذا الثقل، يبرز التحليق بوصفه إمكانية رمزية للتحرر. فطائر «غرنوة»، بحركته العمودية نحو السماء، لا يكتفي بتمثيل الحرية، بل يجسد **فعل التجاوز** ذاته. إنه لا يلغي الأرض، لكنه يرفض أن يُختزل فيها.

إن التحليق هنا لا يُفهم بوصفه هروبًا من الواقع، بل بوصفه إعادة تموضع داخل هذا الواقع. فالشخصيات، وهي تشاهد الطائر، لا تغادر مكانها فعليًا، لكنهاتعيد تخيل علاقتها به. وهنا، يتحول الرمز إلى أداة لإعادة بناء المعنى، بدلًا من الاكتفاء بتلقي المعاناة.

[1] - هايدغر، مارتن، الوجود والزمان، ترجمة: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد

خاتمة

إنّ الوقوف عند رواية غرنوة: متاهة زقاق الظلمة لا يعني مجرد التوقف عند عمل أدبي يستعيد مرحلة تاريخية مؤلمة من تاريخ الجزائر، بل يعني الدخول إلى فضاء سردي تتقاطع داخله الذاكرة بالتاريخ، والألم بالوعي، والإنسان بالمصير. فالرواية لا تكتب الحدث بوصفه ماضياً منتهياً، وإنما تستحضره باعتباره جرحاً مفتوحاً ما تزال آثاره ممتدة في الجسد والمكان والذاكرة، وهو ما يجعل النص يتجاوز حدود التخييل الروائي ليغدو شهادة وجودية ضد النسيان.

لقد كشفت هذه الدراسة أنّ "ذاكرة الألم" تمثل المحور البنيوي العميق الذي تنتظم حوله الرواية، حيث لا يُقدَّم الألم كحالة نفسية فردية عابرة، بل كقوة تاريخية ووجودية تعيد تشكيل الإنسان من الداخل. فالشخصيات داخل النص لا تعيش المعاناة بوصفها تجربة هامشية، وإنما باعتبارها قدراً يومياً يفرض عليها إعادة النظر في علاقتها بالعالم وبذاتها وبالآخر. ومن هنا، يصبح الألم أداة كشف لا أداة انهيار فقط، لأنه يدفع الذات إلى تجاوز وعيها الساذج نحو وعي أكثر حدة وعمقاً.

كما بيّنت الدراسة أنّ الرواية تنجح في تحويل التجربة الفردية إلى ذاكرة جماعية، حيث يتحول صوت "الحساني" من مجرد صوت ذاتي إلى صوت ينطق باسم جيل كامل عانى التهجير والخوف والتجارب النووية والتهميش. ولذلك فإن النص لا يكتب مأساة فرد، بل يكتب مأساة جماعة كاملة جرى تغييبها من السرديات الرسمية، وهو ما يمنح الرواية بعدها التوثيقي والمقاوم في آن واحد.

وقد أظهرت المقاربة السوسيو-تاريخية أن الرواية استطاعت أن تعيد فتح ملف التفجيرات النووية الفرنسية في رقان من زاوية إنسانية وأخلاقية، بعيداً عن اللغة السياسية الجامدة أو الخطاب التاريخي البارد. فالنص يواجه الجريمة الاستعمارية عبر استعادة آثارها النفسية والاجتماعية والوجودية، الأمر الذي يجعل الرواية شكلاً من أشكال "الكتابة المضادة" التي تسعى إلى فضح العنف الاستعماري ومقاومة سياسات المحو والنسيان.

أما من الجانب الفني، فقد كشف التحليل أنّ الكاتب اعتمد بنية رمزية كثيفة جعلت النص أكثر قدرة على احتواء فداحة التجربة. فقد تحوّل "زقاق الظلمة" إلى رمز للتيه الوجودي والقلق الإنساني، بينما أصبحت الصحراء أرشيفاً مفتوحاً لذاكرة الجريمة، في حين مثّل طائر "غرنوة" الأفق المضاد للموت، بوصفه رمزاً للسلام والانعتاق واستمرار الحياة رغم الخراب. وبهذا، لم يعد الرمز مجرد تقنية جمالية، بل غدا أداة فكرية تسهم في بناء الوعي الفردي والجماعي داخل الرواية.

كما أكدت الدراسة أن الوعي في الرواية لا يُولد خارج المعاناة، بل يتشكل من داخلها. فالشخصيات لا تصل إلى الإدراك عبر الطمأنينة، وإنما عبر الاحتكاك المباشر بالموت والخوف والعبث. ولهذا، يتطور الوعي من حالة الانكسار الأولى إلى حالة مقاومة تحاول استعادة المعنى داخل عالم فقد توازنه. ومن هنا، تتحول الرواية من مجرد خطاب عن الألم إلى خطاب عن قدرة الإنسان على الاستمرار رغم هشاشته.

إن الأهمية الكبرى لهذا النص تكمن في كونه لا يستثمر المأساة من أجل إثارة العاطفة فقط، بل يجعل منها مدخلاً لطرح أسئلة وجودية عميقة تتعلق بالحياة والحرية والذاكرة والمصير. ولذلك فإن الرواية تفتح أمام القارئ أفقاً تأملياً يجعله يعيد التفكير في العلاقة بين الإنسان والتاريخ، وبين الذاكرة والهوية، وبين الكتابة والحقيقة.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن رواية غرنوة: متاهة زقاق الظلمة استطاعت أن تؤسس خطاباً أدبياً وإنسانياً يتجاوز حدود المحلية، لأنها حولت تجربة جزائرية خاصة إلى قضية إنسانية كونية تمس معنى الوجود ذاته. فالألم داخل الرواية لا يبقى جزائرياً فقط، بل يتحول إلى سؤال إنساني مفتوح حول مصير الإنسان حين يتحول العلم إلى أداة تدمير، وحين يصبح التاريخ فضاءً للعنف والمحو.

وفي الأخير، يتأكد أن الأدب الجزائري، من خلال مثل هذه النصوص، لا يؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل يمارس دوراً حضارياً ومعرفياً بالغ الأهمية، لأنه يحفظ الذاكرة الوطنية من التآكل، ويعيد الاعتبار للأصوات المهمشة، ويمنح الإنسان القدرة على مقاومة النسيان عبر الكتابة. فالرواية هنا ليست مجرد سرد للألم، بل فعل وعي ومقاومة، ومحاولة دائمة لإنقاذ الإنسان من السقوط النهائي في العتمةاو الظلمة الأبدية .

.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

أ- المعاجم

- ابن منظور، *لسان العرب*، ج12، دار صادر، بيروت، 1993، ص19.

ب- المصادر الروائية (المتن التطبيقي)

- عبد الله كروم، *غرنوة: متاهة زقاق الظلمة*، سلسلة كتب (شاهد وقضية)، إعداد وإخراج: حنين حرمة، الكتاب رقم (1)، قناة الواحات الفضائية، ص2، 3،5، 8، 13،14، 19، 163،185، 20،37،39،40،54،55،56،67-186.

ثانيًا: المراجع

أ- الفلسفة والفكر

- ألبير كامو، *أسطورة سيزيف*، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ص59-62.
- بول ريكور، *الذاكرة، التاريخ، النسيان*، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص115-120.
- بول ريكور، *الزمن والسرد*، الجزء الأول: الحبكة السردية، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص88-92.
- جان بول سارتر، *الوجود والعدم*، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، 1966، ص41-45، 85-89.

- رينيه ديكارت، *مقال عن المنهج*، ترجمة: محمود محمد الخضيري، دار المعارف، القاهرة، ص53.
- سورين كيركغارد، *المرض حتى الموت*، ترجمة: فؤاد كامل، دار الكلمة، القاهرة، 1980، ص45-48.
- فريدريك نيتشه، *هكذا تكلم زرادشت*، ترجمة: فليكس فارس، دار التنوير، بيروت، ص102.
- مارتن هايدغر، *الكينونة والزمان*، ترجمة: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2012، ص245-250.

ب- علم الاجتماع والنقد الثقافي

- إدوارد سعيد، *الثقافة والإمبريالية*، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ص25، 112.
- إميل دوركايم، *تقسيم العمل الاجتماعي*، ترجمة: حافظ الجمالي، دار كنعان، دمشق، ص84-88.
- فرانتز فانون، *معذبو الأرض*، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفارابي، بيروت، ص52، 180.
- لوسيان غولدمان، *من أجل علم اجتماع للرواية*، ترجمة: حنان قصاب حسن، دار الحوار، سوريا، ص34-36.
- موريس هالبواكس، *الذاكرة الجماعية*، ترجمة: ديزي شيا، دار المعرفة، بيروت، ص55-58.

.ج- علم النفس

- عبد الرحمن عيسوي، *علم النفس المرضي*، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص211 .

د- النقد الأدبي والرواية

- إيان وات، *نشوء الرواية*، ترجمة: ثائر ديب، دار التكوين، دمشق، ص15-20 .

قائمة الملاحق

التعريف بالكاتب "عبد الله كروم" ومقاربته الروائية

تقتضي الدراسة المنهجية لأي عمل سردي الوقوف عند سيرة مبدعه والسياق الذي أُنتج فيه النص، وذلك لاستجلاء الخلفيات الفكرية والتاريخية التي ساهمت في تشكيل الرؤية الروائية. وفي هذا الإطار، نتوقف عند الروائي الجزائري عبد الله كروم وروايته «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة».

1- عبد الله كروم: مساره الأكاديمي والإبداعي

يُعدّ "عبد الله كروم" روائياً وأكاديمياً جزائرياً ،من مواليد1974 م فيي ولاية أدرارجنوبي الجزائر،حيث استطاع أن يحجز لنفسه مكانة بارزة في المشهد السردي الجزائري المعاصر بفضل لغته الرصينة واشتغاله العميق على قضايا الهوية والتاريخ والتراث المحلي. يزاوج كروم في مساره بين الصرامة الأكاديمية بوصفه باحثاً، وبين التخييل الجمالي بوصفه روائياً، مما يمنح نصوصه عمقاً توثيقياً وفلسفياً يتجاوز مجرد سرد الحكايات العابرة.

وقد تكلل هذا المسار الإبداعي المتميز بنيله أرفع وسام أدبي في الجزائر، حيث توج بـ **"جائزة آسيا جبار للرواية"** في طبعتها لعام 2022 عن روايته الموسومة بـ "الطَّرْحان". إن حصوله على هذه الجائزة المرموقة يمثل اعترافاً نقدياً ومؤسساتياً عالياً بقيمة منجزه الروائي، وبقدرته على استنطاق البيئة الصحراوية وتقديم إضافة حقيقية للأدب الجزائري.

2- بطاقة تعريفية لرواية «غرنوة» وسياقها التوثيقي

صدرت رواية «غرنوة: متاهة زقاق الظلمة» عن **دار خيال للنشر والترجمة** ببرج بوعريريج (الجزائر) ، حيث تم إيداعها القانوني في شهر سبتمبر من عام 2023. وتندرج هذه الرواية ضمن مشروع سردي توثيقي يحمل عنوان سلسلة **"شاهد وقضية"**، مما يجعلها عملاً يزاوج ببراعة بين التخييل الأدبي والشهادة التاريخية الحية.

لم تُكتب الرواية استجابةً لترف فني مجرد، بل جاءت كضرورة تاريخية لتسليط الضوء على فاجعة إنسانية وبيئية كبرى؛ ألا وهي التفجيرات النووية الفرنسية في منطقة "رقان" بالصحراء الجزائرية. وقد لخص الروائي مشروعه وموقفه

الإداني الصريح في الغلاف الخلفي للرواية عبر تساؤل استنكاري حارق يختزل مأساة أمة بأكملها، قائلاً:

"أي جناية ارتكبناها يا ديغول لتزرع في أرضنا السم؟ وتتركه يحوم في واحتنا، في جوف أرضها، وفي غلاف جوها، وفي جزيئات مائها، وفي جينات إنسانها" .

ويستمر الكاتب في تصوير حجم الكارثة وانعكاساتها على الوجود والمكان، مبيناً كيف دخلت المنطقة في "زقاق الظلمة الأبدي" إثر هذا الانتهاك:

"أظلمت الواحة، ومحيت من الوجود، بل حيدت من الحياة حتى لو ستبقى الأرحام تدفع في النطف المشوهة، دخلنا إلى زقاق الظلمة الأبدي لم نعد نرى الأمل ونوره، لا مستقبل لنا على هذا الكون... حل المسخ، وتفشى الفيروس" .

بهذا العمل، يؤكد عبد الله كروم التزامه بقضايا الذاكرة الوطنية، محولاً السرد الروائي إلى أداة لمساءلة التاريخ، وحفظ "ذاكرة الألم" من التلاشي أمام محاولات المحو والنسيان الكولونيالي.

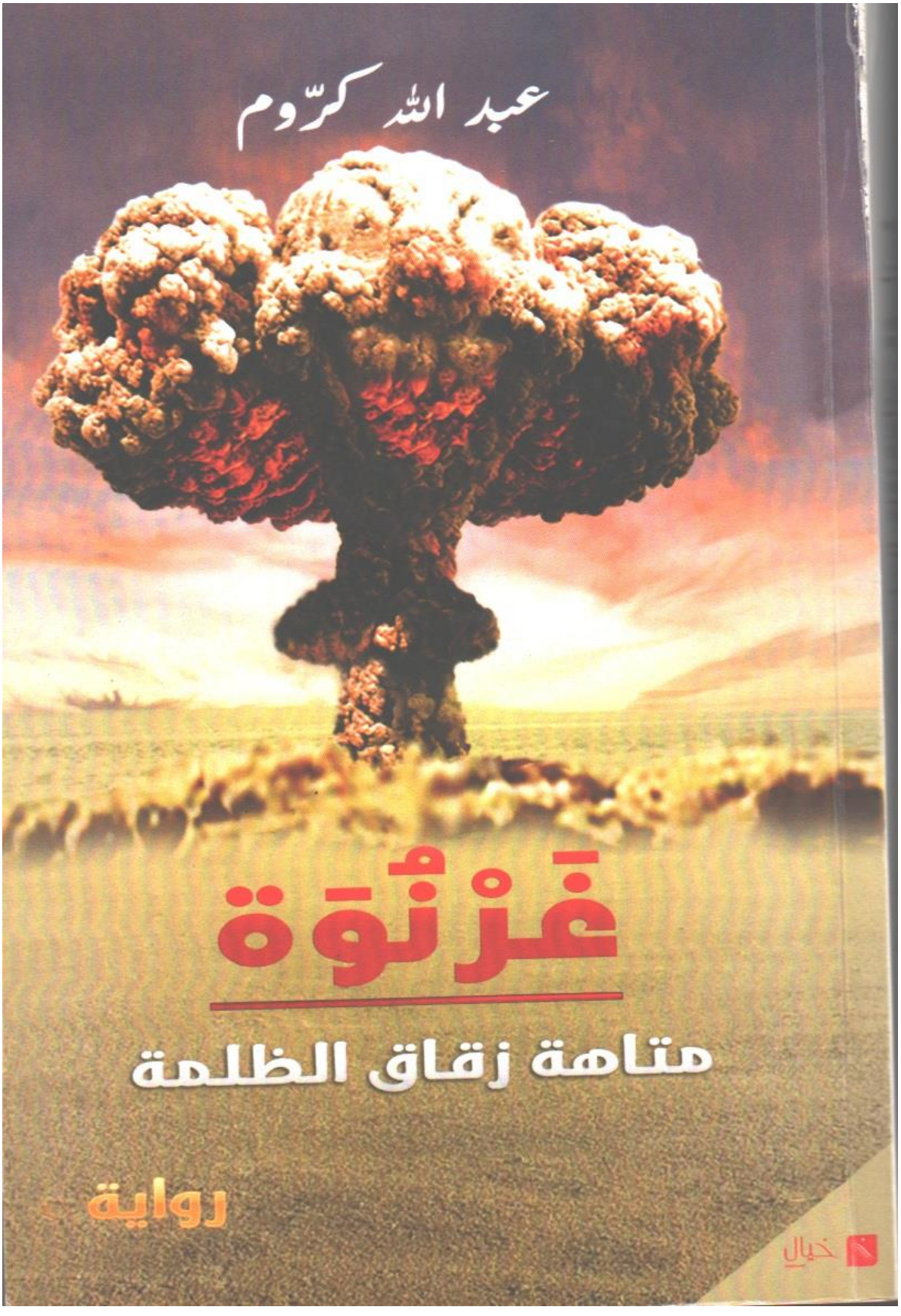
عبد الله كرّوم
غَزْنُوَة
متاهة زقاق الظلمة
رواية
خيال

عبد الله كرّوم

غَرْنَوَة

متاهة زقاق الظلمة

رواية

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليصور
برج بوعريريج – الجزائر.
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك : 978-9931-06-012-3
الإيداع القانوني : سبتمبر 2023.

عبد الله كروم: روائي وأكاديمي جزائري. صدر له:
-الطرحان (جائزة آسيا جبار للرواية 2022).

أيّ جناية ارتكبناها يا ديغول! لتزرع في أرضنا السّم؟ وتتركه يحوم في واحتنا، في جوف أرضها، وفي غلاف جوّها، وفي جزيئات مائها، وفي جينات إنسانها. أظلمت الواحة، ومُحيت من الوجود، بل حُيّدت من الحياة حتّى لو ستبقى الأرحام تدفع في النّطف المشوّهة، دخلنا إلى زقاق الظّلمة الأبدي لم نعد نرى الأمل ونورَه، لا مستقبل لنا على هذا الكون، سيكون الإنسان غير الإنسان، والحيوان غير الحيوان، والتّراب غير التّراب، والنّبات غير النّبات، حلّ المسخ، وتفشّى الفيروس.. و(لا غالب إلا الله).

خيال
khayaleditions@gmail.com
9 789931 060123

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير	
الاهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لذاكرة الألم والوعي	**1**
المبحث الأول: مفهوم الألم وتحولاته في الخطاب الأدبي والفلسفي	**2**
1- الألم لغةً واصطلاحًا	2
2- الألم في الفكر الفلسفي والوجودي	4
3- من الألم الفردي إلى «ذاكرة الألم» الجماعية	7
المبحث الثاني: مفهوم الوعي في الخطاب الأدبي	9
1- الوعي الفردي وتحولات الذات	9
2- الوعي الجمعي بوصفه مقاومة	11
3- السرد الروائي بوصفه أداة لبناء الوعي	13
الفصل الثاني: ذاكرة الألم وتجلياتها في رواية «غرنوة»	**16**
المبحث الأول: ذاكرة القهر الاستعماري في الرواية	17
1- تجليات القهر الاستعماري في الرواية	17
2- الألم كذاكرة جماعية	19
3- الرواية كشهادة على الجريمة النووية	21
المبحث الثاني: ذاكرة الألم الوجودي والنفسي	22
1- الاغتراب والقلق الوجودي	23
2- التجنيد القسري وتشظي الذات	24
3- عبثية المصير في «زقاق الظلمة»	26

المبحث الثالث: المكان بوصفه حاملًا لذاكرة الألم	28
1- الصحراء كأرشيف للجريمة	28
2- زقاق الظلمة والاختناق الوجودي	30
3- المكان بين الذاكرة والهوية	31
الفصل الثالث: تشكل الوعي في الرواية	34
المبحث الأول: تشكل الوعي الفردي من رحم الألم	35
1- من الضحية إلى الشاهد	35
2- الألم بوصفه لحظة كشف	37
3- الوعي الوجودي ومواجهة العبث	39
المبحث الثاني: الوعي الجمعي ومحاكمة التاريخ	41
1- الذاكرة الجماعية ومقاومة النسيان	41
2- الرواية كسردية مضادة للاستعمار	43
3- الجماعة بوصفها وعيًا مقاومًا	45
المبحث الثالث: الرمز ودوره في بناء الوعي	47
1- طائر «غرنوة» ورمز الانعتاق	47
2- جدلية الأرض والتحليق	49
3- الرمز وتوحيد الوعي الجماعي	51
المبحث الرابع: الرمز في بناء الوعي (طائر «غرنوة» دليلًا للانعتاق دراسة فلسفية)	53
خاتمة	60
قائمة المصادر والمراجع	65
قائمة الملاحق	68
فهرس الموضوعات	72

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ "ذاكرة الألم وصوت الوعي في رواية غرنوة: متاهة زقاق الظلمة للروائي عبد الله كروم"، موضوعاً حساساً وعميقاً في الوجدان الجزائري، يتمثل في فاجعة التجارب النووية الفرنسية في منطقة رقان عام 1960. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الآليات التي وثق بها الروائي "ذاكرة الألم"، جاعلاً منها منطلقاً سردياً لتشكيل وعي فردي وجماعي يقاوم النسيان ويفكك السردية الاستعمارية.

وقد اعتمدت الدراسة على مقاربة نقدية ثقافية وسوسيو-تاريخية، مستعينة بمفاهيم الذاكرة الجماعية، لتحليل مستويات الألم (الجسدي، النفسي، والوجودي) وانعكاساته على شخصيات الرواية (الضحايا الجزائريين والجنود الفرنسيين). كما سعت إلى تفكيك الدلالات الرمزية للمكان (الصحراء، زقاق الظلمة) والرموز الحية (الحمامة غرنوة)، مبرزة دورها الفاعل في بناء الخطاب الروائي المقاوم.

وخلصت الدراسة إلى أن رواية "غرنوة" لا تكتفي بالسرد التخييلي، بل ترتقي لتكون وثيقة إدانة تاريخية وجمالية؛ حيث تحولت ذاكرة الألم بين طياتها من مجرد معاناة سلبية صامتة إلى طاقة وعي خلاقة، تعيد بناء الهوية وتنتصر للقيم الإنسانية في مواجهة التوحش الكولونيالي. كما أثبت البحث نجاح عبد الله كروم في ترسيخ سردية "المحلي والصحراوي" كفضاء مركزي وفاعل في المشهد الروائي الجزائري المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية، عبد الله كروم، غرنوة، ذاكرة الألم، الوعي، الذاكرة الجماعية، التجارب النووية، رقان، الاستعمار الفرنسي.

Study Abstract

This study, titled **"The Memory of Pain and the Voice of Consciousness in the Novel 'Ghernoua: The Labyrinth of the Alley of Darkness' by Novelist Abdallah Kaddoum,"** addresses a sensitive and profound theme in the Algerian psyche: the tragedy of French nuclear testing in the Reggane region in 1960. The study aims to uncover the mechanisms through which the novelist documented the "memory of pain," transforming it into a narrative launching pad to shape an individual and collective consciousness that resists forgetting and dismantles the colonial narrative.

The study adopts a cultural-critical and socio-historical approach, utilizing concepts of collective memory to analyze the levels of pain (physical, psychological, and existential) and their repercussions on the novel's characters—both Algerian victims and French soldiers. Furthermore, it seeks to deconstruct the symbolic connotations of space (the desert, the alley of darkness) and living symbols (the dove, Ghernoua), highlighting their active role in constructing a resistant novelistic discourse.

The study concludes that the novel *Ghernoua* does not merely settle for fictional narrative; rather, it elevates itself to become a historical and aesthetic document of condemnation. Within its pages, the memory of pain is transformed from mere passive, silent suffering into a creative energy of consciousness that rebuilds identity and champions human values in the face of colonial brutality. The research also demonstrates Abdallah Kaddoum's success in establishing the "local and Saharan" narrative as a central and active space in the contemporary Algerian novelistic scene.

Keywords: Algerian Novel, Abdallah Kaddoum, Ghernoua, Memory of Pain, Consciousness, Collective Memory, Nuclear Testing, Reggane, French Colonialism.